

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

الكيان الصهيوني بين الدّعم الأمريكي و التّخاذل العربي

2020/1948

دراسة في الأسباب و التّداعيات.

مقدمة لنيل شهادة ماستر LMD في تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر .

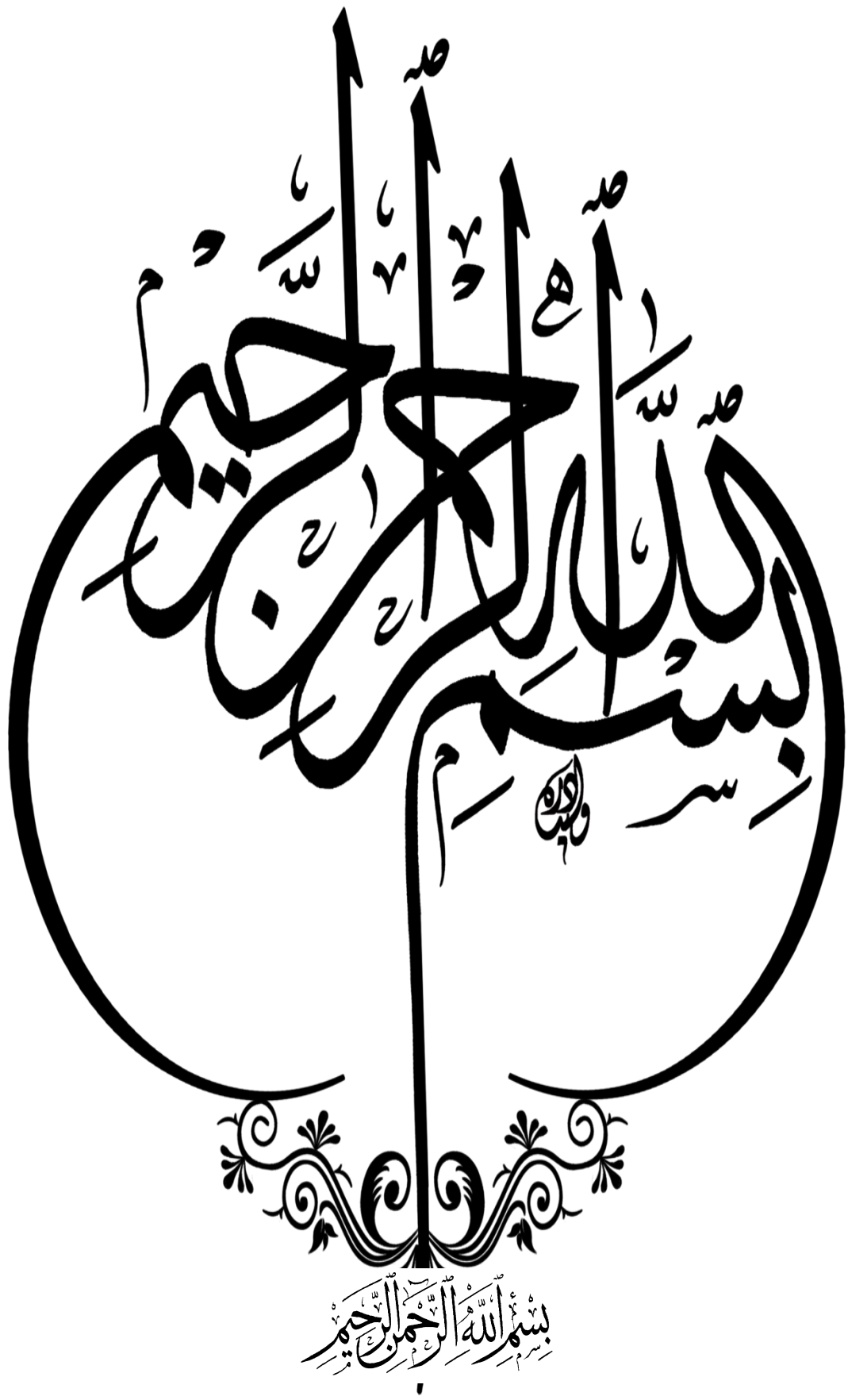
إعداد الطالبين:

1- مكّي نسرين / 2- طويري رابح .

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	د. ريغي	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	رئيسا
2	أ.د. بن ازواو فتح الدين	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	د. مني صالح	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2020 / 2021.



شكر و تقدير

إهداء

مقدمة

مقدمة :

يُعتبر موضوع الصراع العربي- الإسرائيلي من أكثر المواضيع إثارة للجدل على الصعيد السياسي والإعلامي منذ نحو قرن ، ليس على الساحة العربية فحسب بل في العالم قاطبة ، و يعود ذلك لتشعباته الإيديولوجية و امتداداته التاريخية و تضارب منطلقاته الدينية و تداخل عوامله السياسية والجغرافية ، وليس أدل على هذه الأهمية من الكم الهائل للكتابات الأكاديمية و المعالجات الإعلامية - المكتوبة و المرئية والمسموعة - التي تناولت بالتّظهير أسباب هذه الصّراع و محاولة البحث في جذوره، وتحليل أحداثه وصولا لاستشراف مآلاته ، في ضوء التّجاذبات و التّوازنات الإقليمية و الدّولية المؤثرة فيه.

و الحقيقة أنّ الكيان الصّهيوني ما كان له أن يظهر على مسرح الأحداث العالمية لولا القوّة الإمبريالية لبريطانيا التي غرسته في جسد الوطن العربي أولا ثمّ للولايات المتحدة الأمريكية ، حاضنة هذا الكيان و راعيته الأساس .

أسباب اختيار الموضوع : بلا شك أنّ هناك أسباب ذاتية و عوامل موضوعية دفعتنا لاختيار هذا الموضوع ندرجها في ما يلي :

- **الأسباب الدّاتية :** أساسها الرّغبة الشّخصية في البحث في جوانب القضية الفلسطينية ، باعتبارها أم القضايا العربية و الإسلامية ، أولى القبلتين و ثالث الحرمين و مسرى الرّسول الكريم - صلى الله عليه وسلّم - ، و لأنّ التّطرّق لحيثيات القضية الفلسطينية إلزام ديني قبل أن يكون أخلاقي و وجداني.

- **العوامل الموضوعية :** و يمكن ذكر بعضها من قبيل أنّ تناول الموضوع يسهم في نشره و يضيف لمجال البحث الجامعي عنوانا آخر ، من شأنه تسليط الضّوء على جوانب أكثر لبسا في الموضوع .

أهداف الدّراسة : هدفت الدّراسة للبحث في دواعي الدّعم و الرّعاية الأمريكيّة للكيان الصّهيوني الغاصب لفلسطين ، و في تبيان مظاهر هذه الرّعاية و مجالاتها و حدودها و فعّاليتها ، في الوقت نفسه البحث في أسباب التّفاعس العربي لدرجة الخذلان ، في الدّود عن قضيتهم المركزيّة ، و في أسباب ومظاهر هذه التّخاذل.

إشكالية الدراسة : لا يخفى على متابع أنّ أكثر أسباب قوّة الموقف الإسرائيلي منذ قيام دولة الكيان الصّهيوني عام 1948م إلى اليوم، هو إرتكازها السّياسي و العسكري على الدّول الغربيّة عموما والولايات المتّحدة الأمريكيّة بوجه خاص ،هذا الدّعم اللامحدود كان له الأثر الفعّال في توجيه دفّة الصّراع و تغليب كفّة إسرائيل على حساب العرب و فلسطين منذ تفجّر القضية .

- الإشكالية الرئيسيّة : ما هي أوجه و أسباب الرّعاية الأمريكيّة لإسرائيل في ظل التّخاذل العربي في نصرّة فلسطين ؟.

- الإشكاليّات الفرعيّة :

- فيما تمثّلت الرّعاية الأمريكيّة لإسرائيل في الجانب السّياسي و العسكري على الخصوص؟.

- لماذا ترمي أمريكا بثقلها لتغليب كفّة إسرائيل على حساب مصالحها لدى العرب ؟.

- ما هي أسباب خسارات العرب المتتالية لجولات الصّراع مع إسرائيل ؟.

- لماذا جنح العرب لخيار التّفاوض مع الكيان الصّهيوني على حساب مصالح الشعب الفلسطيني ؟.

- المنهج المتّبع في الدّراسة : اعتمدنا لإنجاز هذه الدّراسة على المنهج الوصفي ، في وصف مجريات الصّراع و رصد مواقف أطراف القضية ، و على المنهج السّردى لسرد الوقائع و الأحداث والمتغيّرات ، التي ميّزت عقود الصّراع منذ تفجّره .

- خطّة الدّراسة : جاءت خطّة هذه الدّراسة في شكل مقدّمة و أربعة فصول و خاتمة و ملاحق وفهارس .

- تناولنا في الفصل التّمهيدي التعريف بظروف ظهور الحركة الصّهيونيّة و ثوابتها العقائديّة و تاريخ التحامها مع الأصوليّة المسيحيّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة في المبحث الأوّل ، و تطرّقنا في المبحث الثّاني للعوامل التي ساهمت في إنتشارها، أمّا في المبحث الثّالث فقد سلّطنا الضّوء على الإستراتيجيّة التي إتّبعتها الحركة الصّهيونيّة لتحقيق إنتشارها.

- الفصل الأول : أسس و روابط العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية : و قد فصلنا فيه الروابط الدّينية في المبحث الأول و رابطة المصالح الإستراتيجية في المبحث الثاني ، أمّا في المبحث الثالث فتناولنا المبررات السياسية لاستمرارية هذه العلاقات و الروابط.

- الفصل الثاني تحت عنوان : أسباب و مظاهر الرعاية الأمريكية للكيان الصهيوني و أثرها في توجيه الصّراع، و قد حوى هذا الفصل أربعة مباحث : الأول و عالجا فيه جزئية تنفّذ اللّوبي الصهيوني في الولايات المتّحدة الأمريكية ، و تأثيره على السياسة الأمريكية في الدّاخل الأمريكي و تجاه إدارة الصّراع العربي-الإسرائيلي، و في المبحث الثاني قمنا بتسليط الضّوء على جوانب الرعاية السياسية الأمريكية لإسرائيل ، و المبحث الثالث خصّصناه لكشف النّقاب عن المساعدات الأمريكية لإسرائيل في المجال العسكري ، و المبحث الرابع للجوانب الإقتصادية لنفس الموضوع .

- الفصل الثالث : و جاء تحت عنوان مظاهر التّخاذل العربي و تداعياته على مسار القضية الفلسطينية، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث : تناولنا في الأول شعار قومية المعركة و ضياع فلسطين، والمبحث الثاني بعنوان : العرب و فلسطين من التّخاذل إلى التّصادم ، و رصدنا فيه المحطّات المؤلمة للصّدام بين الفلسطينيين و أشقاءهم العرب ، أمّا المبحث الثالث و الأخير ، فبحثنا فيه أسباب التّخاذل العربي و تداعياته على الواقع الفلسطيني ، و كذا رصد لمسار مفاوضات السّلام العربيّة-الإسرائيلية ، و أهم إتفاقيات التّطبيع العربي مع الكيان الصهيوني .

- أهم المصادر و المراجع :

أ- أهم مصادر الدّراسة :

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

Université Mohamed Boudiaf - Algérie

ب- أهم مراجع الدّراسة :

ج- الموسوعات و المعاجم :

- صعوبات الدراسة :
- الوباء
- حالة الإغلاق العام العامل النفسي
- مجال الدراسة الواسع و المتشعب (لا يمكن التحكم و الإلمام بجميع جوانب الموضوع وتضارب في دقة بعض المعلومات)
- ظروف و ارتباطات عائلية قاهرة
- بعد المسافة و صعوبة التواصل بين الطالبين .
- ضعف تدفق الإنترنت
- الإنقطاعات الكهربائية

الفصل التمهيدي : الصهيونية المسيحية

المبحث الأول: النشأة والعقيدة:

المطلب الأول :- تعريف الصهيونية المسيحية .

المطلب الثاني :- الثوابت العقائدية للصهيونية المسيحية :

المطلب الثالث :- نشأة المسيحية الأصولية الأمريكية المعاصرة و التحامها مع الصهيونية

المبحث الثاني: عوامل الانتشار :

المطلب الأول : التخطيط المحكم :

أ - استغلال كره الغرب لليهود

ب - استغلال الدين

ج - كسب التعاطف و اللعب على العواطف الإنسانية .

المطلب الثاني : خدمة الظروف :

أ - التحولات في المجتمع الأمريكي.

ب- تراجع و زوال الدولة العثمانية

ج- نتائج الحربين العالميتين .

المبحث الثالث : إستراتيجية الانتشار :

المطلب الأول : سياسة شاملة متكاملة.

المطلب الثاني : تدمير الأعداء و الخصوم .

المطلب الثالث : المراهنة على القوى الإستعمارية و الإمبريالية بريطانيا و أمريكا

الفصل التمهيدي : الصهيونية المسيحية

المبحث الأول: النشأة والعقيدة

المطلب الأول : الصهيونية و الصهيونية المسيحية :

1- الصهيونية : لغة : هي كلمة يقصد بها جبل صهيون في القدس ، وتعني أيضا الأرض المقدسة في الميراث الديني اليهودي، كما و يقصد بها كذلك الجماعة الدينية اليهودية¹، و هي أيضا أحد أسماء جبل داوود في القدس، أول من أطلق هذا المصطلح هو اليهودي **ناتان برنباوم**²، للدلالة على الحركة الداعية لجمع اليهود في فلسطين .

إصطلاحا : عرّفها أتباعها على أنّها الحركة الرامية لعودة المسيح إلى الأرض الموعودة، و أنّها أيضا الحركة السياسية الهادفة لحل مشكلة اليهود بتوطينهم في فلسطين³.

2- المسيحية الصهيونية : يعود استعمال مصطلح الصهيونية المسيحية للصّحفي التمسائي **تيودور هرتزل**⁴، و الذي عرّفها على أنّها الدّعم المسيحي للصّهيونية، ظهرت النّواة الأولى لفكرة الصهيونية المسيحية من خلال مقال بعنوان "حال اليهود و آفاقهم" في إحدى الجرائد البريطانية في جانفي 1839م، طرح صاحبه **اللورد شافتسبري**⁵

¹ - عبد الوهّاب المسيري : موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، مج :06، ط1، دارالشّروق ، القاهرة ، 1999، ص14.

² - **ناتان برنباوم** (1864-1937 م) : مفكر صهيوني ولد في فيينا ، كان معاديا لفكرة إدماج اليهود في الشعوب الأخرى ، حضر المؤتمر الصهيوني الأوّل ببازل عام 1897 م ، و تبنّى أفكاره الصهيونية ، مات سنة 1937 م. (يُنظر : حسين عبد الله يوسف ، تاريخ الأحزاب العالميّة الصهيونيّة في فلسطين 1905-1948 م ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، كلية الآداب ، قسم التّاريخ و الآثار ، الجامعة الإسلاميّة ، غزة ، فلسطين ، 2011 م ، ص 3).

³ - عبد الوهّاب المسيري : مرجع سابق ، ص13.

⁴ - **تيودور هرتزل** : صحفي يهودي من جنسيّة نمساويّة ، مؤسس الصهيونية السياسيّة و عزّاب المؤتمر الصهيوني الأوّل بازل 1897 م ، أصدر كتابه المعروف : الدولة اليهوديّة ، ضمّنه أفكاره الطّلائعيّة حول فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، مات سنة 1904م (يُنظر : محمّد حسنين هيكل : المفاوضات السريّة بين العرب و إسرائيل : الأسطورة و الإمبراطوريّة و الدّولة اليهوديّة ، ج1، دار الشّروق القاهرة ، 1996 م، ص254).

⁵ - اللّورد أنتوني أشلي كوبر : لورد شافتسبري السّابع ، أحد الشّخصيّات الإنجليزيّة خلال القرن 19 م ، صهر رئيس وزراء بريطانيا بالمرستون و مستشاره ، بالإضافة أنّه زعيم حزب الإنجليّين ، إهتمّ بقضايا اللاّهوت و اليهود و القداسة ، نظر إلى اليهود نظرة استرجاعيّة في إطار العقيدة الألفيّة ، (يُنظر : عبد الوهّاب المسيري : موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، مج :06، ط1، دار الشّروق ، القاهرة ، 1999، ص160.)

فكرة الإسترجاع ، و يقصد بها إعادة زرع اليهود في فلسطين، و كانت تلك أولى الخطوات العلنيّة التي ناقشت موضوع اليهود و الوطن القومي ¹.

ويقدم الصّهيونيّون المسيحيّون أنفسهم كمدافعين عن الشّعب اليهودي وخاصة "دولة إسرائيل" ، ويتضمن هذا الدّعم مجابهة كل من ينتقد أو يعادي "إسرائيل" ، كما وتعرّف الصّهيونيّة المسيحيّة بأنها "مجموعة من المعتقدات التي تهدف إلى تأييد قيام دولة قوميّة يهوديّة في فلسطين بوصفها حقًا لليهود، باعتبار أن عودة اليهود إلى أرض الميعاد، برهان على صدق التّوراة، وعلى اكتمال الزّمن، وعودة المسيح ثانية" ².

من هذا المنطلق يمكن تلخيص اعتقادات المسيحيّين الصّهيونيّين في العناصر التّالية ³:

- المسيح قادم ليحكم اليهود في فلسطين مدة ألف عام.
- تجميع كل يهودي العالم في فلسطين.
- بناء الهيكل الثالث على أنقاض المسجد الأقصى المبارك.
- القدس هي العاصمة الأبديّة لإسرائيل.
- على الحكومات أن تعترف بإسرائيل دبلوماسيًا لتدعمها دوليًا، وتعارض أي مقاطعة اقتصاديّة لها.
- السّماح بهجرة اليهود من جميع أنحاء العالم .
- على جميع الدول نقل سفاراتها إلى القدس.
- على جميع الشّعوب الصّديقة أن تكفّ عن تسليح أعداء إسرائيل.
- على جميع الحكومات أن تتوقف عن استضافة الإرهابيين.
- تشجيع توطين اللاّجئين واستيعابهم في البلاد العربيّة؛ لأنّ نداءات القادة العرب عام 1948م هي التي أجبرتهم لإخلاء ميادين القتال.

¹ - بول مركلي : الصّهيونيّة المسيحيّة 1891-1948م ، ت فاضل جتكر ، ط4، قدمس للنشر و التوزيع ، دمشق ، 2004، ص92.

² - شريتح فاخر أحمد : المسيحيّة الصّهيونيّة ، رسالة لنيل درجة الماجستير في العقيدة و المذاهب المعاصرة ، الجامعة الإسلاميّة بغزة ، كلّية أصول الدّين ، غزة ، فلسطين ، 2005 ، ص 14.

³ - - السّماك محمّد : الدّين في القرار الأمريكي ، ط1 ، دار النّفائس ، بيروت ، لبنان ، 2003 ، ص 53.

- الاستيطان في الأجزاء من الأرض غير الآهلة بالسكان.

المطلب الثاني : الثوابت العقديّة للصّهيونيّة المسيحيّة¹:

أ - إنطلاقاً من العقيدة الإيمانيّة لليهود بأنّهم شعب الله المختار ، فإنّ دعم إسرائيل واجب والتزام ديني قبل أن يكون سياسيّاً ، لأنّ هذا اختيار الله و على الجميع احترام و تقدير هذا الاختيار عبر احترام إسرائيل و تقديسها .

ب- إنّ الاعتقاد بأنّ الله منح فلسطين المقدّسة لليهود لا يعني فقط تأييد قيام دولة إسرائيل بل مساعدتها على بناء المستوطنات ، و تهويد كامل الأرض الفلسطينيّة .

ج- الإيمان بأنّ القدس هي قطعة أساسيّة من أرض الميعاد ، يستوجب السعي للحصول على إعتراقات دوليّة بضم القدس و تهويدها و اتّخاذها عاصمة أبدية لإسرائيل .

د- العمل على إزالة كل العقبات في طريق بناء الهيكل (المزعوم) و أوّلها هدم المسجد الأقصى .

هـ- إشاعة الإضطرابات و الحروب في المنطقة كجزء من عقيدة حتميّة معركة هرمجدون ، التي يليها مباشرة عودة المسيح الثانية فالسلام يؤخّر هذه العودة².

المطلب الثالث : نشأة المسيحيّة الأصوليّة الأمريكيّة المعاصرة والتحامها

مع الصّهيونيّة :

إنّتشت الأصوليّة المسيحيّة في بيئة بروتستانتيّة و عرفت أوجه شيوعها في القرن 19م في أوروبا أوّلاً ثمّ انتقلت إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة حيث تقاطعت مع الحركة الصّهيونيّة العالميّة³ و عملت على تحقيق أهدافها

¹ - التحالف الذي تم بين الكنيسة البروتستانتيّة و الصّهيونيّة لا يعني الكنيستين الكاثوليكيّة و الأرثوذكسيّة ، ذلك أنّهما تعارضان الصّهيونيّة على أساس عقائدي ديني مسيحي ، (للمزيد يُنظر : عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود و اليهوديّة و الصّهيونية ، مج:06، ط1، دارالشّرق ، القاهرة ، 1999، ص137).

² - السّمّاك محمّد : الدّين في القرار الأمريكي ، مرجع سابق ، ص 54.

³ - شريتح فاخر أحمد : مرجع سابق ، ص72.

، و تغلغت في الثقافة الأمريكية و هيمنت عليها حتى استطاعت تكيف سياسة الدولة وفق المتطلبات الصهيونية ، لتجعل منها في النهاية خادما مطيعا للكيان الصهيوني يرضى مشروعه الإستيطاني في فلسطين ، و زاوجت بين تكوين جماعة ضاغطة بأذرع مادية مؤثرة و لوبي سياسي و بين رسوخ ديني في الذهن الجمعي الأمريكي، مستخدمة في ذلك جميع المؤسسات الدينية كالمعاهد و المراكز و الكنائس المختلفة الفرق والمذاهب و الاتجاهات المسيحية .

لكنها تحلّت أكثر لدى الطائفة البروتستانتية¹ خاصة في فروعها المتطرفة² ، و لذلك فالمجتمع الأمريكي هو المثال الحي لسيطرة الصهيونية المسيحية في جميع الجوانب ، في السياسة و الإقتصاد و الثقافة و الإعلام ، ومن هذا المنطلق فلا ينتظر عاقل قدرا ولو قليلا من عدالة أمريكا في إدارة الملف الفلسطيني بنزاهة ، قبل أن يتحرّر المجتمع الأمريكي من هذه العقيدة المتجذرة في فكره المعاصر .

يرى المفكر الكبير عبد الوهاب المسيري في موسوعته الرائدة أنّ مصطلح (الصهيونية المسيحية) من شأنه إضفاء صبغة عالمية تربطها بالمسيحية ككل ، و هذا ينافي الواقع تماما ، بل إنّ جوهر فكر الصهيونية يتعارض مع الأسس العقائدية للمسيحية عند الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية، و هو مفهوم مطلق وغير دقيق علمياً³.

إنّ أوّل استعمال لمصطلح الصهيونية المسيحية كان على لسان تيودور هرتزل الصحفي النمساوي مؤلف كتاب " الدولة اليهودية " و الأب الروحي للمؤتمر الصهيوني الأول بازل 1897م ، و الذي أطلقه لوصف هنري دونانت⁴ مؤسس الصليب الأحمر الدولي ، و الثري الذي أغدق على الحركة الصهيونية دون حساب وهو من الشخصيات المسيحية القليلة التي دُعيت لحضور مؤتمر بازل، لكنّ الأب الحقيقي للحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية هو جون نلسون داربي - الذي سيأتي ذكره في الفصل التالي - ، كما لا ينبغي المرور على شخصية أساسية في مسار الحركة المسيحية الصهيونية الأمريكية هو ويليام بلاكستون⁵ المبشّر الإنجيلي

1 - البروتستانتية : كلمة لاتينية يُقصد بها الشهادة العلنية ، و اصطلاحا تُطلق على مجموعة الألمان الذين احتجوا على قرارات ديت أوف سبير ، و بعد ذلك جرى إطلاقها على أتباع الحركة الإصلاحية المسيحية (يُنظر : إنعام بنت محمد عقيل : طوائف الكنيسة البروتستانتية و عقائدها ، ط1 ، مؤسسة عكاظ للصحافة و النشر، جدّة 2013، ص54).

2 - شريتح فاخر أحمد : نفس المرجع ، ص74.

3 - المسيري عبد الوهاب : اليهود و اليهودية و الصهيونية ، ج6، ص137.

4 - السّمّاك محمّد : الدّين في القرار الأمريكي : ص 16.

5 - ويليام بلاكستون : (1841-1935 م) صهيوني علماني غير يهودي ، و رجل أعمال أمريكي داعم للتبشير ، قاد حملة عودة اليهود إلى فلسطين ، أصدر كتابا بعنوان " يسوع قادم " سنة 1878 م ، يعزى له نقل المسيحية الصهيونية من التبشير إلى الممارسة السياسية . (للمزيد يُنظر : عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، مج:06، ط1، دارالشروق ، القاهرة ، 1999، ص168)

أحد المروجين لفكرة "إنّ فلسطين أرض بلا شعب و يجب أن تُعطى لشعب بلا أرض"، الذي جمع توقيع 413 شخصية مسيحية ويهودية أمريكية ، مذيلا بها مذكرة مرفوعة للرئيس الأمريكي بنجامين هاريسون، للمطالبة بعقد مؤتمر دولي للنظر في (إعادة) اليهود إلى فلسطين¹ ، متحججا بأنّ اليهود "...كانوا مرتكزا للدين و للحضارة فلماذا لا تبادر القوى الدوليّة — بموجب معاهدة برلين 1878 - التي أعطت بلغاريا للبلغار ، و صربيا للصرّب أن (تعيد) فلسطين إلى اليهود"²

المبحث الثاني: عوامل الانتشار :

- المطلب الأوّل : التّخطيط المحكم :

أ - استغلال كره الغرب لليهود :

إنّ معاداة اليهود من قبل المسيحيّين تستند إلى دعامة عقائديّة تقوم على اتّهام اليهود بقتل المسيح ، على عكس ما كان سائدا في المجتمعات الشّرقيّة عموما والإسلاميّة بالخصوص ، حيث اعتُبر اليهود مهاجرين يحظون بالحدّ الأدنى من القبول في الإمبراطورية العثمانية ، و خلال نحو ألفي سنة السّابقة تعرّض اليهود للتّهجير و الإضطهاد من قبل المسيحيّين في أوروبا لدواعي دينيّة و أخرى إجتماعيّة ، ويشمل ذلك ما حدث عام 1492 من خلال مرسوم الحمراء — بعد سقوط الأندلس - بعدما عاشوا هناك قرونا من الزّمن تحت حكم إسلامي متسامح.

لقد كان الألمان من أكثر شعوب الأرض قاطبة معاداة لليهود ، فالتّاريخ يحفظ دعوة الإصلاح الكنيسي مارتن لوثر كينغ³ لإحراق المعابد اليهوديّة و منع الحاخامات اليهود من مزاوله عملهم تحت طائل عقوبة الإعدام.

¹ - السماك محمّد : الصّهيونيّة المسيحيّة ، دار التفّاس ، بيروت ، ص 82.

² - السّماك محمّد : الدّين في القرار الأمريكي ، مرجع سابق ، ص 34.

³ - مارتن لوثر كينغ (1483-1546م) تزعم إصلاح الكنيسة ، درّس في جامعة إرفورت ، عام 1517م دخل في صدام مع الكنيسة بعد تنديده ببيع تيتنزل صكوك الغفران ، فألّب عليه الكنيسة الكاثوليكيّة التي أصدرت أمر القبض عليه و محاكمته،فرّ إلى قلعة فاريتورغ و قام بترجمة معاني العهد الجديد إلى اللّغة الألمانيّة ،(يُنظر : عبد الوهّاب الكيّالي ، الموسوعة السّياسيّة ، ج 5 ، المؤسّسة العربيّة للدراسات و النّشر ، بيروت ، ص 407).

إنّ من أكثر المغالطات المعاصرة حصر كراهية اليهود في المجتمع العربي الإسلامي ، و أنّهم وحدهم المسؤولون عن تصدير ذلك الكره و الحقد إلى أوروبا، لكن المعطيات التاريخية تنسف هذه المغالطات ، بل و تؤكد أنّ الأوروبيّين هم من نقل هذه الكراهية للعرب.

قالت رايّا كيلينوفا، نائبة الرئيس التنفيذي للكونغرس اليهودي الأوروبي، في مقابلة تلفزيونيّة في قناة "يورونيوز"¹ : "أنه على الرّغم من أن معاداة السّامية كانت تمثّل مشكلة عبر التاريخ، لكنّها خرجت الآن بطريقة متجدّدة، إذ زادت المعاداة للسّامية، و تحديداً الكراهية ضد اليهود، مؤخّراً بنسبة 74 في المائة في فرنسا، و الإعتداءات ضد اليهود في ألمانيا زادت إلى 16,000 حادثة بزيادة قدرها 10 في المائة".

و استمرّت المسؤوليّة الصّهيونيّة في التّوضيح : "لكنّ هذه الزّيادة لم تكن وليدة اللحظة بل هي نتيجة كراهية متراكمة على مدى التاريخ". مضيعة : "أنّ ما نشاهده في الإعلام التقليدي و الجديد يعكس هذه الكراهية ويغذيها"، و يمكن للباحثين في هذا الموضوع الإطّلاع على عشرات التقارير المتواترة ، خاصّة في العقود الأخيرة ، في ظل الطّفرة الإعلاميّة الهائلة ، و مرونة التّفكير لدى الجمهور المعاصر ، و انفتاحه على آراء غير تقليديّة و غير موجّهة.

إنّ إبراز عمق المشاعر السّلبية الدّفينّة للغرب اتجاه اليهود، ليس محل بحث وإيضاح هنا ، لكننا نفعل ذلك فقط ، لنبيّن مدى حاجة الغرب لحلّ يريجه من عبء قبول التّعايش المستحيل للجماعات اليهوديّة وسط المجتمعات الغربيّة² ، هذه الحاجة لم تكن سرّيّة، بل كانت معروفة عند جميع المجتمعات، وإلّا ماكان هناك قوانين تجرم معاداة السّامية و المعروف أن المقصود منها هم اليهود لا العرق السّامي³ ، وإن كانت تعتبر نقطة سلبية عند تقييم العنصر اليهودي وسط غيره من العناصر البشريّة ، استثمرها قادة الحركة الصّهيونيّة استثماراً مؤثراً جدّاً ، غداة تقديم مشروعهم الإستيطاني ، و كأنّ لسان حالهم يقول : ((أعينونا في إقامة دولتنا اليهوديّة في فلسطين وسنجمع شتات جماعاتنا فيها، و بالتّالي سترتاحون من وجودنا بينكم)) ، و بالفعل فقد رأى الغرب أنّ هذه الفكرة تمثّل

¹ - كراهية اليهود جزء من الثقافة الأوروبيّة لا العربية - <https://www.alhurra.com/different-angle/2019/05/21/> كراهية-

اليهود-جزء-الثقافة-الأوروبيّة-لا-العربيّة، تاريخ النّشر 21 ماي 2019، تاريخ الدّخول 13 جوان 2021، ص 46، 23.

² - جون روز : إسرائيل : الدّولة الخاطفة ، كلب الحراسة الأمريكي في الشّرق الأوسط ، ط1 ، دار الحمراء للطّباعة و النّشر ، بيروت ، لبنان ، 1990، ص 47.

³ - ربيكا غولد : تعريف معاداة السّامية من خلال محو الفلسطينيين ، ترجمة منى أبو بكر ، مجلّة قضايا إسرائيليّة ، من منشورات المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيليّة ، ع 78 ، ص 20، رام الله ، فلسطين ، صيف 2020، ص ص 39، 46.

حلًا توافقيًا لكليهما ، و هذه الفكرة أيضا تمثّل ضلعًا مهمًا من أضلاع **العقد الصّامت**¹ بين الصّهيونية والغرب المعاصر - كما يسمّيها المرحوم الدكتور عبد الوهاب المسيري في أغلب كتاباته -

ب - النّجاح في ربط الصّهيونية بالمسيحية :

من أكثر إبداعات الحركة الصّهيونية التي كان لها الأثر البالغ في دفع مشروعها الإستيطاني في فلسطين إلى التّجسيد هو نجاحها في ربط الصّهيونية في شقّها الدّيني بالمسيحية و صهرهما في بوتقة واحدة ، من خلال إيجاد التّفاسير و التّأويلات اللاهوتية لنصوص الإنجيل ، بغية خلق إيمان راسخ وعميق لدى الغرب المسيحي عموما والبروتستانتية خاصة بمشروعية الحق اليهودي في فلسطين² ، والأكثر إبداعا هو خلق هالة من القدسيّة لهذه التّأويلات و التّفاسير تجعلها في منأى عن أيّ مراجعة أو نقد أو تشكيك.

بالنسبة للكنيسة البروتستانتية الغربيّة، لا توجد لديها مشكلة في الإنخراط إلى جانب المفاهيم الصّهيونية³، بل إنّها فتحت أبواب كنائسها و ألسنة قساوستها و منشوراتها ومنابرها، لدعم الصّهيونية كما رأينا في بداية البحث ، أمّا بالنسبة لبقية المذاهب المسيحية، فقد قامت الكنيسة البابوية الممثّلة للكاتوليك بنزد اليهود - فيما سبق - واضطرتهم للعيش معزولين في الجيتوهات ، كما صنّفت سقوط مدينة أورشليم و تشتّت اليهود ، كعقاب لهم لصلبهم المسيح ، و منه اتّسمت قراراتها و مواقفها اتّجاههم بالعداء واللّعن المتشدّد، و انهالت عليهم التّعوت المهينة من قبيل أنّهم يقرءون كتابهم (العهد القديم) دون إدراك لمضمونه، و تمّ وصفهم بـ " أغبياء يحملون كتبًا ذكيّة "⁴، حسب القول المسيحي.

يشار أيضا أنّ عداء الكاثوليك لليهود قد ظهر أوّل مرّة إبّان الحروب الصّليبيّة ، حيث أرْتُكبت في حقّهم العديد من المذابح ، و نفس الأمر حدث لهم عقب سقوط غرناطة في القرن الخامس عشر الميلادي بعد جلاء

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

¹ - المسيري عبد الوهاب : اليهود و اليهوديّة و الصّهيونية ، ج6 ، مرجع سابق ن ص38.

² - شريتح فاخر أحمد : مرجع سابق ، ص73.

³ - لقد رسّخت البروتستانتية في أذهان أتباعها فكرة الرّابطة الأبدية بين اليهود و فلسطين باعتبارها وطنهم القومي الذي أخرجوا منه، وتم تهيئةهم للإعتقاد بأنّه لم يكن في فلسطين أكثر ممّا هو وارد في نصوص العهد القديم من أساطير و قصص تاريخيّة و كأنّه لا يوجد شعوب أخرى تركت بصمتها في فلسطين ذ، و جميع هذه الأفكار تعزّز فكرة تهويد فلسطين و تضفي الشّرعيّة على الإستيطان الصّهيوني الغاصب . (يُنظر البعد يوسف العاصي الطّويل : الدّيني لعلاقة أمريكا باليهود و إسرائيل و أثره على القضيّة الفلسطينيّة 1948-2009م ، ط1، مكتبة حسن العصريّة ، بيروت ، لبنان ، 2014، ص 46).

⁴ - المسيري عبد الوهاب : موسوعة اليهود و اليهوديّة و الصّهيونية ، ج4 ، ص 281.

المسلمين عنها ، و ظلّت نظرة الكاثوليك لليهود مرتبطة في أذهانهم بالمفهوم الكاثوليكي (الشعب الشاهد)¹ لا تتغيّر .

و بناء على ما سبق فالكنيسة الكاثوليكية لا تعترف بعقيدة اليهود (شعب الله المختار)² ، ولا بحقهم في العودة إلى الأرض المقدسة انطلاقاً من رفضهم للمسيح و معاداته وصلبه ، وبذلك فلم يكن بالإمكان المراهنة عليهم - في البداية - من قبل الصهيونية المسيحية في بعث مشروعهم الإستيطاني للأسباب الدينية السالفة .

لكن في عام 1947 أيدت الفاتيكانيكان مسألة اعتبار القدس منطقة دولية ، بعد مصادقتها على قرار التقسيم ، و في عام 1960 اعتذر البابا يوحنا بولس الثالث والعشرين عن الدور الكاثوليكي في ممارسة العداء ضدّ السامية عبر جميع العصور ، و جاء المجمع المسكوني الثاني سنة 1965 ، ليكون بوابة التّصالح مع اليهود ، معتبراً أنّ الدين المسيحي نشأ في حاضنة يهودية.³

أمّا بالنسبة للكنائس الشّرقية ، فقد تضاربت مواقفها من البداية من أفكار الصهيونية المسيحية ، خاصّة بعد نهاية الحرب العالميّة الثانية ، فقد اعتبر مجلس الكنائس الشّرقية أنّ " الصهيونية المسيحية بدعة جديدة تقوّض شهادة الكنائس لإنجيل المسيح " ⁴ ، من منطلق أنّ " الأساطير والعقائد الألفيّة والإسترجاعية غير معروفة لدى المسيحيين الشّرقين ، كما أنّها ليست موضع حوار أو مناظرة بينهم " بحسب تعبير الدكتور عبد الوهاب المسيري.⁵

و يرجع سبب عدم اتّساق الصهيونية المسيحية مع الكنيسة الأرثوذكسية الشّرقية ، للعداء الذي ناصبه المسيحيون الفلسطينيون للحركة الصهيونية منذ النّشأة ، و نظرهم لها من منظور استعماري ، يطوّع النّصوص الإنجيليّة و يفسّرها تفسيرا حرفياً بما يخدم الأيديولوجيا الصهيونية لا غير .

من خلال ما سبق يتجلى لنا العمل الجبار الذي قام به قادة الصهيونية ، في السّعي لربط المشروع الصهيوني بالعقيدة المسيحية ، هذا الرّبط الذي عاد بالنّفع على الصهيونية دون غيرها ، و خلق منطقة غموض واسعة،

¹ - شريتح فاخر أحمد : المسيحية الصهيونية ، رسالة لنيل درجة الماجستير في العقيدة و المذاهب المعاصرة ، الجامعة الإسلامية بغزة ، كلية أصول الدّين ، غزة ، فلسطين ، 2005 ، ص 177 .

² - شريتح فاخر أحمد : نفس المرجع ، ص 178 .

³ - شريتح فاخر أحمد : نفس المرجع ، ص 179 .

⁴ - شريتح فاخر أحمد : نفس المرجع ، ص 184 .

⁵ - المسيري عبد الوهاب : موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، ج 6 ، ص 142 .

لدرجة يصعب معها رسم حدود فاصلة بين التّصوص الإنجيليّة السّابقة و تأويلات معاصرة، ظهرت فقط لترضي الأفكار الصّهيونيّة و تخدم أغراضها.

ج - التّباكي اليهودي.

نجحت الحركة الصّهيونيّة إلى حدّ بعيد في اللّعب على وتر العواطف الإنسانيّة عندما سوّقت للعالم فكرة أنّ اليهود شعب عانى كثيرا من اضطهاد بقيّة الأعراق البشريّة على مرّ العصور التاريخيّة ، وتعرّض للكثير من الاستغلال و البطش و التّقتيل والتّشريد و لذلك فإنّ عالم اليوم - بنظرهم - مدين لهم بالإعتذار عمّا عانوه ، و لا يكون هذا إلّا بمساعدتهم على (استرداد) حقوقهم (المشروعة والمهضومة) و التي يأتي على رأسها إقامة دولتهم الموعودة على أرضهم المقدّسة فلسطين ، عبر دعم المشروع الصّهيوني المعاصر .

و لا بأس لتحقيق ذلك و إعطاءه صفة الشرعيّة ، تذكير العالم بمحطّات الإضطهاد التي عاشها الشّعب اليهودي على أيدي الجماعات الإنسانيّة المختلفة (المتواطئة ضدّهم)، بدءا من إخراجهم من القدس قبل ألفي عام ، مروراً بمجازر الإضطهاد المسيحي خلال القرون الوسطى¹ ، و وصولاً لأفران الغاز و محرقة الهولوكوست² خلال الحرب العالميّة الثّانية .

إنّ معاناة اليهود عبر التّاريخ تجعل منهم - وفق ما يتمّ ترويجه للعالم - أكثر شعوب العالم تعرّضا للإضطهاد ، و بالتّالي هم الحمل الوديع وسط غابة الذّئاب البشريّة، و حان وقت ردّ الإعتبار لهم بما يتناسب و حجم معاناتهم و لا مناص للإقرار بخطيئة الإنسانيّة في حقهم.

نجحت الصّهيونيّة في ترسيخ فكرة أنّ المعاناة هي السّمة الطّاغية على حياة اليهودي . فإذا أراد أحد ما أن يستفسر عن مدى صحّة مثل هذه المعاداة أو إن كان مبالغا فيها، تصدّت له أذرع الصّهيونيّة في المحاكم و الإعلام بالتّشهير و الحصار .

¹ - بدأ القس المسيحي الألماني مارتن لوثر كينغ رائد المذهب البروتستانتي (الإحتجاجي)، دعوته بضرورة إعادة دراسة العهد القديم (التّوراة) باعتبار أنّ المسيحيّة هي امتداد لليهوديّة ، و لذلك فاليهود ليسوا أعداء و لا يجب أن يعاقبوا على جريمة صلب المسيح ، و ادّعى أنّ " عيسى وُلد يهوديّاً " و لذلك قبول بالترّحيب من طرف اليهود ، قبل أن ينقلب عليهم بسبب رفضهم لتفسيراته التّالية للكتاب المقدّس بحجّة أنّ التّلمود يعطي تفسيراً أفضل ، فبدأ بمهاجمتهم و دعا لحرق كنائسهم و كتبهم و طردهم، و من ثمّ فقد تعرّض اليهود لواحدة من أسوأ مح"ات الإضطهاد عبر التّاريخ . (يُنظر : شريتح فاخر أحمد : المسيحيّة الصّهيونيّة ، رسالة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة ، الجامعة الإسلاميّة بغزة ، كليّة أصول الدّين ، غزة ، فلسطين ، 2005 ، ص 43) .

إنّ مجرّد التشكيك في ادّعاءات اليهود حول تعرّضهم للإبادة و الإضطهاد عبر التّاريخ، أصبح جريمة باسم القانون الدّولي تحت مسمّى (معاداة السّامية)¹، لقد بنيت هذه الفكرة على قاعدة (أكذب أكذب أكذب حتى يصدّقك النّاس)، و هي في الأساس كانت موجّهة لغير اليهود كسبا لتعاطفهم واستمالتهم، و لقد أصبحت فكرة (التّبكي اليهودي على المظالم التّاريخيّة) تثير حفيظة و اشمئزاز الرّأي العام في العالم، بل إنّ كثيرا من المفكرين اليهود عبّروا عن سخطهم من استمرار وسائل الإعلام الموالية لليهود الصّهائنة، في جعل المعاناة في صلب الحياة اليهوديّة و اعتبارها جزءا من المصير اليهودي.

إنّ استخدام هذه الشّعارات انتقل - منذ بداية الألفيّة الجديدة - و تفجّر الصّراع بين سلطة الإحتلال الصّهيويني و المقاومة العربيّة - سواء مع حزب الله في جنوب لبنان أو حركة حماس و بقيّة فصائل المقاومة الفلسطينيّة في قطاع غزّة - من كسب التعاطف المعنوي، إلى ذريعة جاهزة للتّزوع للخيار العسكري، بحجّة أنّ المقاومة تروّع اليهود الآمنين داخل الأراضي المحتلّة، بل و حتى التوسّع في الإحتلال عبر بناء المزيد من المستوطنات وفق خطط أمنيّة، و أكثر من ذلك غطاءً لعمليات القصف وارتكاب المجازر و الإغتيالات في حق الفلسطينيين العزل.

أحد هؤلاء المفكرين النّخبة و هو واحد من أشهر علماء النفس السياسي في العالم، الأستاذ في جامعة تل أبيب، دانيال بار تال وجّه سؤالاً لليهود الإسرائيليين يتمحور حول مفهومهم عن صراعهم مع العرب منذ بداياته وحتى الآن ليكتشف أنّهم « يشعرون داخل ضميرهم بأنّهم ضحيّة، ويتّصفون بالعقليّة المحاصرة، والوطنية العمياء، والتّزوع للحرب، ويشعرون بأنّ الحقّ إلى جانبهم. ويرون أنّ الفلسطينيين مجردون من الإنسانيّة، ولا يشعرون بمعاناتهم»، و اكتشف تال أنّ هناك علاقة بين هذه الدّائرة الجماعيّة وذاكرة « المحاكمات السّابقة لليهود»، وما يسمّى بالهولوكوست، ذلك الشّعور الذي يتمحور حول حقيقة إنّ « جميع العالم ضدّنا »².

لقد حدّر هذا المفكر و أمثاله من أنّ الإستمرار في هذا النّهج من شأنه إبقاء اليهود أسرى لمحاكمات الماضي وكونهم ضحية فلن يستطيعوا أن يفكّروا في تسويّة الصّراع الإسرائيلي مع العرب.

¹ - ريبیکا غولد: تعريف معاداة السّامية من خلال محو الفلسطينيين، ترجمة منى أبو بكر، مجلّة قضايا إسرائيليّة، من منشورات المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيليّة، ع 78، ص 20، رام الله، فلسطين، صيف 2020، ص ص 39، 46.

² - ظهور إسرائيل بموقف «الضحية» دائما يقضي على آمال السلام، -<https://www.emaratalyoun.com/politics/reports>، and-translation/2009-03-10-1.127059، تاريخ النّشر : 10 مارس 2009، تاريخ الدّخول : 22 جويلية 2021، 21:25.

- المطلب الثاني : خدمة الظروف :

أ - التحوّلات الحضاريّة في المجتمع الأمريكي :

انعكست التّحوّلات التي مسّت عمق المجتمع الأمريكي بداية القرن العشرين على الجماعات اليهوديّة انعكاسا إيجابيا، فأمریکا بعد الإستقلال عرفت طفرة صناعيّة كبرى وقفزة إنشاءات بنية تحتيّة ضخمة ، و بناء شبكة عملاقة لخطوط المواصلات البريّة والبحريّة، سهّلت عمليّة استقطاب فئات واسعة من المهاجرين، كما برزت صناعات ثقيلة جديدة كصناعة الصّلب و السيّارات التي أسهمت بشكل متسارع في نقل المجتمع الأمريكي إلى مجتمع صناعي بامتياز .

و كان من أكثر الفئات المهاجرة نحو جنّة العم سام الموعودة ، يهود أوروبا الشرقيّة، خصوصا من روسيا و بولونيا، فانخرط هؤلاء المهاجرون اليهود في صفوف الطبقة العاملة، و تطوّر ثقلهم بسرعة حتّى أصبحت أهمّ تجمّع يهودي في العالم على الإطلاق، وثاني أكبر تجمّع بعد التجمّع اليهودي في شرق أوربا خلال الربع الأوّل من القرن العشرين .

كما عرفت هذه الفترة، تحوّل بعض أعضاء الفئة اليهوديّة من التّجارة إلى المهن، فاقتحموا ميادين القضاء والسياسة وإدارة الأعمال والماليّة والنّشر والطّب، وكان هذا التحوّل يعني تحرّر أعضاء الجماعة اليهوديّة تدريجيّا من طابعهم التجاري الإقتصادي البحت ، وتزايد اندماجهم في المجتمع الأمريكي، كان ذلك في المرحلة الأخيرة التي سبقت احتواء أمريكا للرأسماليّة و من ثمّ اكتساح العالم.

بعد الكساد الكبير الذي أصاب الإقتصاد العالمي في مقتل سنة 1929، و زعزع بنية المجتمع الأمريكي، أفلست آلاف الشّركات الصّغيرة و أحيل ملايين العمّال على البطالة ، تغيّر حال الجماعة اليهوديّة بشكل كبير ، و سيطر الأثرياء منهم على مجالات العقّار و السّينما و التّرفيه و القمار، والسّمسرة في البورصة و لم يعد هناك عمال يهود في قطاع الزراعة مثلا و بقيّة المهن البسيطة، و مع أنّ دورهم كجماعة وظيفيّة بقي نفسه إلّا أنّ مركزهم تغيّر كثيرا، و انتقل من الهامش إلى تحقيق بروز ملموس في حياة الأمريكيّين عبر تقلّد المناصب الإداريّة في قطاعات القضاء و إدارة الولايات و توظيف الكثير منهم في مراكز صنع القرار ، كما تسرّبت أعداد أخرى إلى التّقابات العماليّة والأحزاب الثّوريّة .

و قاموا بتأسيس هيئات خاصة بهم تضطلع بتمثيلهم و الدفاع عن مصالحهم ، ففي عام 1941 أصبح إسم المجلس اليهودي العام لمنظمات الدفاع اليهودية (المجلس القومي الإستشاري لعلاقات الجماعة اليهودية).

لقد تمّ ترسيخ الإعتقاد بأنّ مصير أعضاء الجماعة اليهودية في الولايات المتحدة مرتبط تماماً بالمصير الأمريكي . و قد واجهت في البداية بعض الرّفص من قبل الأغلبية الإندماجية، و تجلّت قناعة اليهود في لعب دور أساسي في أمريكا من خلال قرار المنظمة الصهيونية نقل مركز نشاطها من لندن إلى واشنطن، توازيًا مع تراجع الرّعاية البريطانية على العالم و حلول أمريكا محلّها .

و كان أوّل القرارات ذات الوزن و التأثير البارز لصالح مشروع الحركة الصهيونية حول فلسطين هو عقد مؤتمر بالتييمور الذي اتّخذ قرار (بالتيمور عام 1942) في الولايات المتّحدة. كما تمّ تأسيس المجلس الأمريكي لليهودية الذي كان يضمّ كبار رجال الأعمال (من اليهود الإصلاحيين أساساً).

ب- تراجع و زوال الدّولة العثمانية :

المهجرات اليهودية المحدودة إلى فلسطين في عهد السلطان عبد الحميد كانت قبل الوقوف على أخطار المشروع الصهيوني " .إذا كنا نريد أن يبقى العنصر العربي متفوقًا، علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين، وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضاً تملكوا كافة قدراتها خلال وقت قصير، وبذا نكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم . " تلك هي نظرة السلطان العثماني عبد الحميد لإخوانه العرب،

انصحوا (رائد المشروع الصهيوني في فلسطين تيودور) هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع، لأنني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة لأنها ليست ملكي، بل هي ملك شعبي، وقاتل أسلافي من أجل هذه الأرض، ورووها بدمائهم، فليحتفظ اليهود بملايينهم، إذا مزقت دولتي من الممكن الحصول على فلسطين بدون مقابل، ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أولاً في جثتنا. "

رغم أنّ أعدادًا كبيرة من اليهود كانت تعيش في فلسطين من بداية الحكم العثماني لها في القرن 16، إلا أنّ منتصف القرن الـ18 الميلادي شهد تدفقًا كبيرًا للمهاجرين اليهود من روسيا و بولونيا ، هربًا من الإضطهاد، و توزّع هؤلاء على مناطق و مدن فلسطينية حيث مارسوا الزراعة .

و لم يكن العثمانيون يكتفون أيّ ضغينة لهم ، حتّى جاء عهد السلطان عبد الحميد أواخر الحكم العثماني الذي تميّز بالضعف ، و الذي شهد أيضا صعود الحركة الصهيونية وانكشاف مخططاتها الإستيطانية في الإستيلاء على

فلسطين ، فتصدى لها السلطان عبد الحميد بصرامة و حزم ، عبر منع توطين اليهود رغم الضغوط الدوليّة الأوروبيّة .

كان السلطان عبد الحميد ينظر إلى اليهود بعين الرّيبة خاصّة بعد تورّطهم في عمليّة اغتيال قيصر روسيا ألكسندر الثاني سنة 1881 ، و ما تلا ذلك من متابعات و اضطهاد للرعايا اليهود الأمر الذي أدّى بهم إلى الهجرة إلى فلسطين لأسباب تتعلّق بالطبيعة الشّرقية لفلسطين التي تتفق و طبيعتهم ، فضلا عن الإعتبارات الدّينيّة و التّاريخيّة - كما قال المؤرخ المصري عبد العزيز الشناوي "كانوا يعتقدون كيهود شرقيين أن المعيشة في فلسطين كإقليم شرقي أكثر ملاءمة لهم من الحياة في دول أوروبا أو الولايات المتحدة" .

و تقدّمت الحركات التي تتبّى تمثيل اليهود مثل حركة محبي صهيون ، إلى القنصل العثماني بطلب منحهم تصريحاً بدخول فلسطين، فكان ردّه أنّ الباب العالي لا يسمح لهم بالإقامة في فلسطين، وبإمكانهم أن يقيموا على أطرافها ، شرط أن تكون أعدادهم قليلة، وأن يتجنّسوا بالجنسيّة العثمانيّة . و شكّل هذا الرّدّ صدمة لهؤلاء اليهود الرّوس، ثمّ كرّروا محاولتهم المشفوعة بتوسّط السّفير الأمريكي في إسطنبول، و مع ذلك لم يأت الأمر بجديد .

لم ييأس اليهود فقرّروا التسلّل خفية عن أنظار السّلطة العثمانيّة ، لكن عين العثمانيّين كانت يقظة فأرسل الباب العالي إلى حاكم القدس يحثّه على مراقبة و رفض دخول أو إقامة اليهود القادمين من روسيا أو بلغاريا أو رومانيا إلى فلسطين ، بل و حتّى في المدن اللّبنانيّة و السّوريّة كبيروت و اللاذقيّة و جميع مدن ساحل الشّام .

أرسل السلطان عبد الحميد مذكرة رسميّة في 21 جانفي 1883، إلى رؤساء البعثات الدّبلوماسيّة في إسطنبول، تتضمّن قرار مجلس الوزراء العثماني بمنع استيطان اليهود الرّوس في فلسطين، فواجه السلطان ضغوطا أوروبية شديدة سمح على إثرها الباب العالي عام 1884 لليهود بدخول فلسطين لزيارة الأماكن المقدّسة ، من أجل أداء الطّقوس الدّينيّة ، و اشترط ألاّ تزيد مدة إقامتهم فيها عن ثلاثين يوماً .

ومع ازدياد ضغط العواصم الأوروبيّة المتعاطفة مع اليهود على الباب العالي، اضطرّ السلطان عبد الحميد أن يمدّ الفترة إلى ثلاثة أشهر ، مع الإبقاء على الهدف الأساسي وهو منع إقامة اليهود في فلسطين .

بعد أن اتّضحت نوايا وأهداف الحركة الصّهيونيّة في فلسطين، قام السلطان عبد الحميد بتغيير الوضع الإداري للقدس، فجعلها متصرفيّة خاصّة تابعة للباب العالي سنة 1887م، بعد أن كانت قبل ذلك تتبع والي دمشق .

وبهذا القرار أصبحت قسما إداريا قائما بذاته تابعا لسلطة الباب العالي بصورة مباشرة، وكان الهدف من ذلك هو تمكين الدوائر الحكومية في العاصمة إسطنبول من إحكام المراقبة على الهجرات اليهودية .

بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول (بازل 1897) في سويسرا، وظهر شخصية **تيودور هرتزل** زعيما للحركة الصهيونية، واستمالتها للدول الكبرى وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة في العالم، اتصل **بالسلطان عبد الحميد** واضعا أمامه جملة من العروض المالية المغرية مقابل السماح له بتنفيذ مشروع إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين تجسيدا لفكرته التي شرحها في مؤلفه الدولة اليهودية ، كان الرد الرافض الشهير للمشروع من أكثر المواقف التي حفظها التاريخ **للسلطان عبد الحميد** - رحمه الله¹، ليس هذا فحسب فقد أوعز لرجاله بمتابعة الحركة الصهيونية ومراقبة أعضائها و الإستعلام عن أهدافها، بواسطة تقارير سفرائه في العواصم الأوروبية، ومن جهوده أيضا لمنع إقامة دولة صهيونية في فلسطين، منع إقامة المؤتمرات الصهيونية في أراضي السلطة العثمانية ، كما تصدى لمحاولة إنشاء جامعة عبرية في القدس، هدف الصهاينة منها لاستقطاب الأساتذة اليهود في جامعات العالم، و جعلها غطاء لبث الثقافة و الأفكار الصهيونية .

أدت المواقف المتصلبة للسلطان العثماني في وجه الاستيطان اليهودي لمحاولة اغتياله، عبر منظمات مرتزقة أرمنية من خلال تفجير قصر يلدز وقتل السلطان ، إلا أن العثمانيين فشلوا المحاولة . كما حاول اليهود اغتيال السلطان في سويسرا عن طريق تفخيخ العربة التي يستقلها إلا أنه نجا من الحادث وقتل عدد كبير من الجنود، إن موقف **السلطان عبد الحميد** من المشروع الصهيوني من أبرز العوامل التي عجلت بتنحيته من الحكم

من خلال هذا العرض المبسط يمكننا استنتاج أن مشروع إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وفق مخططات الحركة الصهيونية ما كان له أن يتم في وجود حامية متيقظة لمؤامرة الغرب المسيحي المتواطئ مع الحركة الصهيونية ممثلة في الدولة العثمانية رغم ضعفها ، و أنه بزوال الدولة العثمانية من الخارطة السياسية العالمية أصبح طريق الصهاينة معبدا للإستيلاء على فلسطين .

ج- نتائج الحربين العالميتين :

¹ - سنة 1894 أرسل اليهود رشوة بمقدار 5 ملايين ليرة ذهبية للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني ، و وعدوه بإرسال 100 مليون أخرى قرضا يتم تسديده على 100 سنة بدون فائدة ، مع النائب اليهودي التركي قره صو ، و بين سنوات 1876 حتى 1909 ، - استقبل السلطان العثماني الكثير من قادة الحركة الصهيونية و على رأسهم تيودور هرتزل ، و قدموا له الكثير من الإغراءات السخية ، منها مثلا : - إنشاء أسطول بحري عثماني ، دعم السياسة الخارجية العثمانية المتعترّة ، المساعدات المادية و دفع الديون ، إنشاء جامعة عثمانية في القدس ، مقابل موافقته على إقامة دولة يهودية في فلسطين ، لكن جميع تلك العروض ووجهت بالرفض القاطع من قبل السلطان عبد الحميد الثاني - رحمه الله - . (محمد علي باخريه : الصهيونية بإيجاز، أصل نشأة المخططات الصهيونية العالمية ذات النزعة العنصرية ، ط 1 ، ب م ، 2001 ، ص ص ، 151 - 152).

مما لا شك فيه أنّ الصّهيونيّة كانت هي المهندس الأساسي و الرئيس لجميع المصائب والشّور ، التي أصابت العالم منذ أن ظهرت على مسرح الأحداث العالمي ، و ليس أدلّ على ذلك ، من هندستها للحربين العالميتين اللّتين عرفهما العالم خلال القرن المنصرم ، وتوجيه نتائجهما بما يفضي لمصلحتها - الصّهيونيّة - ، و قد كان لها ذلك وبدقّة متناهية .

فقد قضت الحرب العالميّة الأولى على عروش أوروبا العريقة ، و إمبراطوريّاتها العظمى ، مثل النّظام القيصري في روسيا الذي جرى استبداله بالشّيوعيّة، هذه العقيدة الوافدة التي مسحت جميع القيم والمبادئ المحافظة السّابقة ، و أحلّت محلّها الأفكار اللائكيّة المصحوبة بالقيم التّنويريّة البرّاقة ، كالديمقراطية وحقوق الإنسان و الإنفتاح الثقافي و الحريّات الفرديّة المشجّعة على الإنحلال ، كما قوّضت أركان الدّولة العثمانيّة ومن ورائها الخلافة الإسلاميّة، و التي كانت عقبة كؤود في طريق المشروع الصّهيوني، وكذلك فعلت مع الأنظمة السّابقة في كل من ألمانيا وإيطاليا و فرنسا و بلجيكا و البرتغال و النمسا وهلم جرا .

لقد فاوضت الصّهيونيّة من أجل دفع أمريكا- القوّة الكامنة حتّى ذلك الوقت - لصف الحلفاء في الحرب ، و قبضت ثمن ذلك وعد بلفور من الحكومة البريطانيّة ، وليس غريبا أنّ بريطانيا نفسها - أثناء معاناتها على الجبهة الألمانيّة خلال الحرب العالميّة الأولى - ، كانت تدعم الثّورة العربيّة ضدّ الحكم العثماني في الجزيرة العربيّة، و في نفس الوقت، كان اللّورد سايكس منكبّا على تقسيم خارطة البلاد العربيّة، مع نظيره الفرنسي بيكو ، دون إهمال أطماع الحركة الصّهيونيّة في فلسطين من الغنيمة بعنوان "إدارة دوليّة".

كانت الفترة الفاصلة بين الحربين العالميتين ، فترة إنتقاليّة، تمّ فيها تحضير و تهيئة الظروف المحيطة والمتّصلة بالمشروع الصّهيوني ، حيث عملت الصّهيونيّة على تثبيت وعد بلفور و ترقيته أمميّا و إضفاء الشّرعيّة الدّوليّة عليه ، كما سرّعت من وتيرة الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين لقلب المعادلة الديموغرافيّة ، ودعّمت فرض سياسة الإنتداب البريطاني على فلسطين ، تطبيقا لمعاهدة سايكس-بيكو ، كما بدأ في هذه المرحلة نشاط العصابات الصّهيونيّة بالتنسيق مع الجيش البريطاني، عبر ارتكاب المجازر وتهجير الشعب الفلسطيني من أراضيه و بناء المستوطنات فيها ، و أيضا قمع الثّورات العربيّة والتّمردات المناهضة لخطة الإحتلال البريطاني المتواطئ مع الصّهاينة.

و جاءت الحرب العالميّة الثّانية لتتويج جميع الجهود الصّهيونيّة السّالفة ، حيث انجلى غبارها على واقع سياسي جديد يمثّله الأبرز ، تحوّل موازين القوى العالميّة من بريطانيا وفرنسا، إلى أمريكا - صاحبة اليد الطّولى في نتائج الحرب - و الإتحاد السّوفيّاتي بدرجة أقل، و كانت هاتين القوتين الأكثر تأثيرا في دعم تطبيق خطة

الإستييطان الصهيوني في فلسطين، بداية بتمرير قرارات التقسيم عام 1947، والإعتراف بالكيان السياسي الذي ظهر في 14 ماي 1948، وصولاً لتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وليس انتهاءً بالدعم اللوجستيكي تسليحا و تجهيزا للكيان الصهيوني الناشئ .

لقد صبّت نتائج جميع هذه الأحداث ، وفق مخططات الصهيونية بشكل متطابق ، وبتواطئ الأطراف الفاعلة في تلك المرحلة .

إنّ قراءة سريعة لتاريخ العالم المعاصر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، تُمكن صاحبها - مهما قلّت درجة اهتمامه التاريخي - ، من إدراك حقيقة أنّ المتغيّرات الجذريّة على خارطة العالم السياسيّة، ماهي في الواقع إلّا تطبيقا حرفيًا على الأرض، لجميع بنود الحركة الصهيونية المنصوص عليها فيما يعرف بـ (بروتوكولات حكماء صهيون)، وهي إذن ترجمة ملموسة لتوصيات المؤتمر الصهيوني الأوّل (بازل 1897) وتصديقًا لتوجيهات زعيمه تيودور هرتزل - عراب الصهيونية الأوّل - المضمّنة في مؤلّفه المعروف (الدولة اليهوديّة) .

المبحث الثالث : إستراتيجية الإنتشار :

- المطلب الأوّل : سياسة شاملة متكاملة :

قامت الحركة الصهيونية بإنشاء كيان تنظيمي يعمل بتناسق شديد ، يشمل جميع الجوانب : السياسيّة والإقتصاديّة والإعلاميّة و لم تحمل حتى الجوانب الإجتماعيّة و الثقافيّة ، التي من شأنها خلق زخم عالمي لإبراز المطالب الصهيونيّة ، وتقديمها للعالم مع تهمة الظّروف المناسبة الإقليميّة و الدوليّة ، لانتزاع الموافقة والتّرحيب والقبول لصالح المشروع الصهيوني، من القوى الفاعلة في العالم في ذلك الوقت .

ففي الجانب السياسي عملت الحركة الصهيونية على إنشاء الأحزاب السياسيّة و تغلغل عناصرها في المناصب الحكوميّة للدّول ، و ربط العلاقات الدبلوماسية مع الشّخصيّات ذات التأثير الفعّال و ذوي المراكز السياسيّة البارزة ، كما قامت بتأسيس المؤتمرات الدوليّة و تكثيف اللّقاءات و التّجمعات لشرح وجهة النّظر الصهيونيّة، و في الجانب الإقتصادي ساعد نفوذ اليهود - السّابق لهذه المرحلة - و هيمنته على الإقتصاد العالمي على تسخير القوّة الماليّة للعائلات اليهوديّة - كعائلة روتشيلد مثلا - ، وتحكّمهم في المصارف و البورصات وامتلاكهم

للإحتياطي العالمي الأكبر من المعادن النفيسة ، في خدمة المصالح الصهيونية ، من خلال تمويل نشاط أعضائها و دفع الرشاوي وبناء المستوطنات في فلسطين ، أمّا في ميدان الثقافة فقد هيمنت الأذرع الصهيونية على كبرى دور الثقافة و القيادات العلمية والجامعات ومراكز البحوث ، بتخطيط شمولي دقيق استهدف التأثير على الرأي العام و الجمهور عامة ، عبر ترسيخ المفاهيم والأفكار الصهيونية بقوالب متعدّدة ، دون نسيان سيطرتهم على السينما و المسرح و مختلف الفنون ، وتكييف مضمونها بما يخدم أهدافها .

في مجال الإعلام تنبّهت الصهيونية باكراً لما لمجال الصحافة والنشر من قدرة هائلة في التأثير على الآراء والإنطباعات العامة للناس، فعملت على إصدار الصحف والجرائد و طبع الكتب و المنشورات ، ثم لاحقاً تأسيس الإذاعات لتدويل القضية اليهودية و إشاعة الدعايات المغرضة ضدّ أعداء المشروع الصهيوني ، أمّا في الجانب الاجتماعي، فلقد عمل الصهاينة على بناء علاقات وثيقة من خلال تواصل أعضائها مع رجال السياسة و الإقتصاد و الثقافة ، عبر تمويل إقامة الحفلات والمهرجانات و التظاهرات و النشاطات الشبانية والعمالية، وإثارة قضايا المرأة ، و غير ذلك من الموضوعات المثيرة للإهتمام ، وتحت غطاء ممّوه في الغالب ، كما كان من أبرز الأساليب الخطيرة التي اعتمدتها الصهيونية وسيلة للإنتشار والتغلغل في جميع مناطق العالم ، تأسيس النوادي و المحافل العالمية التي يأتي على رأسها طبعاً المحفل الماسوني و نادي الروتاري و غيرها كثير .

– المطلب الثاني : تدمير الأعداء و الخصوم :

لم يعد خافياً على أحد في هذا العصر ، الدور الخفي للحركة الصهيونية في إعادة رسم خارطة العالم منذ نهاية القرن الـ 19 الميلادي ، فمنذ أن بدأت إرهابات المشروع الإستيطاني الصهيوني في التّكشف ، ووجهت بمعارضة شديدة من الكثير من الأنظمة والشّخصيات العالمية التي تفضّلت للمؤامرة الصهيونية على العالم بتواطؤ بعض الأنظمة ، فعملت على كشفها و التحذير منها و محاولة عرقلة تقدّمها ، لكنّ القدرة الهائلة للمنظمة الصهيونية التنظيمية و المالية و السياسية و الإقتصادية – كما رأينا في العنصر السابق – استطاعت أن تحييد جميع هذه القوى التي ناصبتها العداء، و اتّبعَت في ذلك شتى أساليب الدّسائس و الخدع والمناورات و بثّ الدّعاية المغرضة لإثارة القلاقل و الإضطرابات في هذه الدّول ، الأمر الذي عجّل بالإطاحة بهذه الدّول والحكومات في أحسن الحالات ، و أزال الكثير منها من الوجود نهائياً في حالات أخرى ، يمكننا هنا استعراض بعض الأمثلة الحيّة :

- إسقاط النظام القيصري في روسيا سنة 1917¹.

- القضاء على الخلافة الإسلامية و إزالة الدولة العثمانية من الوجود سنة 1923.

- إجثاث الحكم النّازي و تدمير الإمبراطورية الألمانية المعاصرة سنة 1945 .

- إسقاط الملكية في سوريا ثمّ في العراق .

- محاصرة القومية العربية و القضاء على الوحدة المصرية - السورية .

- ضرب المفاعل النووي العراقي ثمّ تدمير الدولة العراقية المعاصرة و إسقاط نظامها و تقسيم العراق إلى كيانات مذهبية متصارعة .

- إزالة نظام طالبان و تدمير أفغانستان و إحالة الشعب الأفغاني على نمط الحياة البدائية .

- تفجير الحروب و الصّراعات في الدّول العربية مثلما هو حاصل منذ أكثر من عقد في سوريا و ليبيا و اليمن.

- غرس كيانات عميلة لا تشكّل خطرا على المشروع الصهيوني مثل حكم آل سعود و العائلة الهاشمية و كثير من الأنظمة العربية كمصر و العراق و البحرين و الإمارات وووو.

- محاربة و إفشال جميع مشاريع الوحدة العربية .

كما لم تقف عملية إزالة خصوم الصهيونية من الطريق ، حصرا على الأنظمة و الحكومات و الدّول ، بل شملت الشخصيات و الأفراد المسؤولين عن أيّ إزعاج للحركة الصهيونية مهما كانت جنسياتهم و مناصبهم ، حيث بلغ مجموع الشخصيات التي طالتها أيدي الحركة الصهيونية ، زهاء 2700 شخصية طوال نحو 70 عام منذ انتهاج هذه السياسة المدروسة بعناية فائقة ، من هذه الشخصيات من ثبت وقوف الصّهاينة في عملية اغتياله ، و منهم من قيّدت عملية اغتياله ضدّ مجهول ، لكن بصفة الصهيونية أصبحت مألوفة معروفة للعامة فضلا عن المختصين ، من جملة هؤلاء نسوق بعض الأمثلة عن شخصيات عالمية و أخرى عربية :

- الكسندر الثاني قيصر روسيا ، الحاقد على اليهود و في عهده تمّ التّنكيل و التّشريع بهم ، اغتيل على أيدي رعايا يهود خلال إضطرابات عام 1881 .

¹ - محمد علي باخريه : مرجع سابق ، ص 142 .

- السلطان العثماني عبد الحميد الثاني تمّت مساومته ثمّ عزله و حصاره حتّى مماته .

- اللورد موين (سياسي و رجل أعمال بريطاني) اغتيل عام 1944، لاعتراضه على السياسة البريطانيّة حول تشجيع و تسهيل هجرة يهود بريطانيا إلى فلسطين.

- أدولف هتلر زعيم ألمانيا النازيّة و العدو الأوّل لليهود و الأنظمة الرأسماليّة و أكثر الأسماء البغيضة لدى اليهود و الغرب عموماً ، لا يخفى على أحد حقده على اليهود كما لا يخفى دور الحركة الصهيونيّة في تغليب كفة دول الحلفاء ضده في ميزان الحرب العالميّة الثانيّة 1939-1945 .

- الملك فيصل ملك السّعوديّة و أحد زعماء القوميّة العربيّة سنوات الستينيّات حتّى منتصف سبعينيّات القرن العشرين ، و صاحب الخطاب الشّهير حول أمنيته الصّلاة في المسجد الأقصى بعد تحريره ، و تنبؤّه بمصيره في نفس الخطاب ، كما أنّه يأتي على رأس مهندسي سلاح النّفط الذي هدّد به مصالح الغرب الإمبريالي ، اغتيل على يد ابن أخيه (فيصل بن امساعد) العائد من أمريكا ، و الذي تبدو بصمة التّدبير الصّهيوني واضحة في عمليّة اغتياله سنة 1975.

- جون فيجيرالد كينيدي ، الرّئيس الأمريكي الكاثوليكي ، و صاحب السّمعة الطّيبة لدى شعوب العالم الثّالث ، و صاحب السّياسة المعتدلة في التّعامل مع المعسكر الشرقي ، اغتيل في وسط الجماهير أثناء زيارته إلى ولاية تكساس ، لا تزال ملابسات عمليّة اغتياله غامضة إلى اليوم ، تداولت الكثير من الرّوايات حول الجهة التي تقف وراء ذلك ، لكن الأرجح بينها، أنّها من تدبير الموساد الإسرائيلي، لإصراره على فتح أبواب مفاعل ديمونة النووي في صحراء النّقب- بشراكة فرنسيّة - ، أمام خبراء الوكالة الدوليّة للطّاقة الدّريّة ومتابعة الأنشطة تحت رقابتهم¹.

- صدام حسين الرّئيس العراقي الذي قصف تل أبيب بـ 39 صاروخاً خلال حرب الخليج الثانيّة ، ضُرب حصار كامل على العراق من 1990 حتى 2003 ، حيث تمّ اجتياح الجيش الأمريكي بغطاء تحالف دولي ، في عمليّة عرفت باسم "عاصفة الصّحراء" ، سقطت بغداد في أفريل 2003 ، و تمّ حل الجيش و الإدارة وكافة هياكل الدّولة العراقيّة ، نُهبت نفائس متحف بغداد التّاريخي ، و تمّ اغتيال وسجن أغلب علماء العراق، ألقي القبض على الرّئيس صدام حسين و قُدّم لمحاكمة صوريّة و نَقّذ فيه حكم الإعدام شنقاً فجر عيد الأضحى، إمعاناً و تشقيّاً في المسلمين السّنة .

¹ البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود وإسرائيل وأثره على القضية الفلسطينية ص186.

- جمال عبد الناصر زعيم القومية العربية و أكثر أعداء إسرائيل لمدة 20 سنة ، في عهده شاركت إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر ، إلى جانب بريطانيا و فرنسا ، بعد تأميمه لقناة السويس و وقف الملاحة البحرية بها ، كان من أسباب الأزمة الرئيسية سحب الولايات المتحدة الأمريكية تمويلها للسد العالي بتحريض من اللوبي الصهيوني .

و هناك الكثير من المؤامرات التي حاكتها الدوائر الصهيونية و العمليات التي قام بها الموساد الإسرائيلي بواسطة عملائه تارة و بالوكالة مرّات أخرى أدّت- في ظروف غامضة - لاغتيال عدد من المجاهدين بالعداء للصهاينة، أو الذين قاموا بأعمال هدّدت مصالحهم ، أمثال : الرئيس الجزائري هواري بومدين ، العقيد الليبي معمر القذافي، الرئيس اليمني علي عبد الله صالح ، مؤسس القاعدة السعودي أسامة بن لادن ، الذي اتّهم بالوقوف وراء هجوم برج التجارة العالمي 11 سبتمبر 2001 ، قادة حماس و حركة ياسر عرفات ، غسان كنفاني ، الشيخ أحمد ياسين ، عبد العزيز الرنتيسي ، خليل الوزير أبوجهاد، محمد المبوح ، و و و و و .

- المطلب الثالث المراهنة على القوى الإستعمارية و الإمبريالية بريطانيا و امريكا :

أ - بريطانيا :

جاء في الموسوعة الفلسطينية : " و قد اكتشف هرتزل ، منذ بداية نشاطه ، حقيقة بديهية ، و هي أنّه لا بدّ لتنفيذ الرؤية الصهيونية من الإعتماد على دولة إمبريالية كبيرة ، تقوم بتوفير الأرض للمستوطنين الصهاينيين ، و بحمايتهم ضدّ السكّان الأصليين ، و بالدّفاع عنهم في المحافل الدّولية ، لذا توجّه هرتزل إلى جميع الدّول الكبرى ذات المصالح الإمبريالية في الشّرق الأوسط ، ابتداءً بالإمبراطورية العثمانية و مروراً بفرنسا و ألمانيا ، و انتهاءً بانكلترا ، و قد توجّحت هذه الجهود بالحصول على وعد بلفور عام 1917¹ .

من خلا هذا الإقتباس يمكننا قراءة أفكار منظري الحركة الصهيونية العالمية ، و فهم البنية الأساسية القائمة على المبدأ الميكافيلي (الغاية تبرّر الوسيلة) ، فهؤلاء الرّواد لم تكن تهمّهم طبيعة من يتبنّى مشروعهم ، بقدر ما كان يهتمّهم أن يرى هذا المشروع طريقه إلى التّجسيد ، مهما كان هذا الشّريك ، و الدّليل إلحاحهم المستمر على سلطة الباب العالي ، رغم درايتهم بالروابط الدّينية و التّاريخية و الجيوسياسية ، التي تجعل من مجرّد طرح الفكرة

¹ - الموسوعة الفلسطينية ، هيئة الموسوعة الفلسطينية ، ق 1 ، مج 3 ، ط 1 ، دمشق ، 1984 ، ص 64 .

على السلطة العثمانية ضرباً من الجنون ، و سباحةً ضدّ التيار ، لكنّ هؤلاء راهنوا على الظروف الدّولية السّائدة ، خاصّة أنّها لم تكن تسير في صالح الدّولة العثمانية ، لا داخلياً و لا خارجياً .

لقد قامت الإستراتيجية الصّهيونية على فكرة أن لا نجاح للمشروع الصّهيوني ، إذا لم يكن تحت مظلة القوى الإستعمارية الكبرى المسيطرة على العالم في تلك المرحلة ، و لذلك فليس هناك بد من توثيق العلاقات و تمثين الروابط مع بريطانيا زعيمة العالم و(الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشّمس) قبل أفولها ، و أنّ أي تطبيق محتمل للمشروع الصّهيوني على الأرض لا بدّ أن يتقاطع مع مصالح بريطانيا الإستراتيجية¹ حتى تكون المنفعة مشتركة وبالتالي فالضمانات تصبح متوقّرة .

إلى غاية بداية القرن العشرين ، كانت هناك بالفعل بعض هذه التقاطعات متاحة ، لكنّها لا تتعدّى الجانب الثقافي و الدّيني ، وهي لا تكفي لبناء تحالف مفضي إلى شراكة حقيقية يمكنها حل(المسألة اليهودية)² برمتها .

كانت أولى الخطوات العملية للشّراكة البريطانية الصّهيونية هي إتفاقية سايكس- بيكو³ 1916 ، ثمّ تبعها وعد بلفور⁴ 02 نوفمبر 1917 ، ثمّ متابعتها و تنفيذه بغطاء دولي عن طريق عصبة الأمم ، مع إجراءات إدارية و عسكرية موازية على الأرض ، تمثّلت في السيطرة على الأراضي الفلسطينية و قمع و شريد أهلها و إحلال اليهود محلّهم ، و تغيير البنية الديموغرافية لخلق تفوق يهودي .

¹ - كان رمان تيودور هرتزل على بريطانيا صريحاً لا لبس فيه ، فقد عبّر عن ذلك بقوله : (سوف تكون انكلترا ، صاحبة الممتلكات في آسيا من أشدّ المهتمّين بالصّهيونية ، لأنّ أقصر طريق إلى الهند يمرّ من فلسطين ، و كان كبار رجال السياسة في إنكلترا هم أوّل من أدرك الحاجة إلى التوسّع الإستعماري و لذا اعتقد بأنّ الفكرة الصّهيونية ، و هي فكرة إستعمارية ، سوف تلقى سهولة الفهم و التفهّم في إنكلترا) ، (يُنظر : جون روز : إسرائيل : الدّولة الخاطفة ، كلب الحراسة الأمريكي في الشرق الأوسط ، مرجع سابق ، ص52).

² - المسألة اليهودية و يُقصد بها وضعيّة و مصير الشّعب اليهودي ، كانت واحدة من أعقد المسائل السياسيّة في القرن التاسع عشر ، نتجت عن الصّراعات الدّينية المتناحرة القائمة على الرّفص المتبادل بين المسيح و اليهود المتراكم عبر التاريخ ، تمثّل هذا الرّفص في عزل اليهود عن المجتمع الأوروبي المسيحي في جيوتوهاات تعبّر عن عمق ثقافة البغض تجاه اليهود. (يُنظر: سلمان قفراي ، أزمة الإنتماء اليهودي: أزمة الإنتماء اليهودي ، ط1 ، دار المناهل ، بيروت ، 2005 ، ص151).

³ - سايكس- بيكو : إتفاقية بين بريطانيا و فرنسا و روسيا ، تمّ التوقيع عليها أوائل عام 1916م ، حملت إسم المتفاوضين الرّئيسيين : الإنجليزي مارك سايكس و الفرنسي جورج بيكو ، كانت تنوي لعدد من المذكّرات الموقّعة سابقاً و التي اشتملت على خطة لتقسيم منطقة الهلال الخصيب و غربي الأناضول إلى ثلاث مناطق : منطقة زرقاء خاضعة لفرنسا تشمل لبنان حتى تركيا و من الفرات شرقاً إلى غاية مرسين و سيواس شمالاً ، و منطقة حمراء خاضعة للحكم البريطاني المباشر و تشمل الكويت و منطقة عسير و جنوب العراق ، حتى جلولاء شمالاً ، و تضم البصرة و بغداد و كربلاء و النّجف ، منطقة (أ) تشمل الموصل و حلب و دمشق و بعض مناطق العراق و لبنان خاضعة لحكم عربي تحت التفوذ الفرنسي ، منطقة (ب) من السّليمانية في كردستان حتّى حدود مصر غرباً و من العقبة إلى الخليج العربي منطقة عربيّة تحت التفوذ البريطاني ، منطقة فلسطين تحت الإشراف الدّولي و روسيا و الشّريف حسين . (يُنظر : الموسوعة الفلسطينية ، ق 1 ، مج2 ، مرجع سابق ، ص - ص 534 ، 535).

إستثمرت بريطانيا كل وسائلها العسكرية و نفوذها الدولي وتحالفاتها الإقليمية مع أصحاب المشاريع السياسية العربية والفلسطينية ، متبعة في ذلك نهجها المعهود في التكتل بالوعود و العمل وفق قاعدة (فرّق تسد) .

اعتمدت السياسة البريطانية في قضية فلسطين على استنزاف الوقت ، من خلال المماطلة في البحث عن حلّ جاد للصراع المتفجّر بين العرب و اليهود ، و أطلقت سلسلة من المفاوضات و الاجتماعات والمؤتمرات ولجان التحقيق ، التي لا طائل من ورائها غير إتاحة الفرصة و تمكين الصّهاينة من توفير شروط إقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين .

إنّ تحالف الحركة الصهيونية مع بريطانيا هيأ لها كافة أسباب التمكين ، حيث سحقت بريطانيا جميع أشكال الرّفص و المقاومة الشعبيّة و الرسميّة العربيّة لليهود ، بنفس القدر الذي عملت فيه بريطانيا على استصدار قرارات دولية جوفاء ، مهمورة بازدواجيّة المعايير ، ثبتت أقدام اليهود و ضيّعت حق الفلسطينيين.

إنّ قاموس علاقات بريطانيا مع العرب لا يمكن صبغه إلّا بالأسود ، حيث لا يضمّ بين دقّاته سوى بعض المصطلحات من قبيل : الغدر و الخيانة و الخداع و المراوغة و الإخلال بالعهود، و لا يخفى على متصفّح كتاب التاريخ أن يلحظ البصمة البريطانية على جميع مآسي العرب ، من زرع للأنظمة العميلة في المنطقة إلى تشتيت صفوف العرب عبر إثارة الدّسائس و التّعرات بينهم و حتّى رعاية كيان سياسي خبيث في فلسطين لا زال ينخر جسدها العليل.

ب - الولايات المتّحدة الأمريكية :

تأسست مجالات الإتّفاق بين السياسة الصهيونية و الولايات المتّحدة الأمريكية ، على عديد المبادئ التي تمثّل جوهر العقد الصّامت - كما سمّاه المرحوم عبد الوهاب المسيري في كتاباته - ، بين الغرب عموماً و الحركة الصهيونية ، لتجعل من علاقاتهما حالة خاصّة بين أقوى قوى العالم المعاصر ، و كيان إقليمي ذو وضع شاذ في خارطة العالم السياسيّة ، استندت هذه المبادئ على :

1- اللّوبي الصّهيوني المتنفّذ في مفاصل الإدارة الأمريكيّة ، الموجه لسياستها الخارجية ، بما يتماشى و مصالح الكيان الصّهيوني .

2- تعاطف المجتمع الأمريكي حكومة و شعباً مع الكيان الصّهيوني الغاصب ، باعتباره امتداداً للحضارة الغربيّة في المنطقة العربيّة .

3- اعتبار إسرائيل نائب الفاعل في إقليم الشرق الأوسط حارس للمصالح الأمريكية ، رادع للقوى المناوئة لها.

4- تكامل المصالح يجعل من لعب الأدوار في السياسة الدولية مسألة متبادلة ، تراعي تحقيق الأهداف الإستراتيجية بما لا يتعارض مع أهداف الحليف الآخر.

لقد مرّت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية بمحطّات حتمت عليهما إجراء تعديلات في الأنماط و الآليات السياسية ، حسب الظروف الراهنة و التّحديات الخارجية المفروضة ، لكنّها لا يمكن أن تهدّد المحدّدات الأساسية ، الضّامنة لأمن و تفوّق الكيان الصّهيوني .



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الفصل الأول

أسس و روابط العلاقة

الأمريكية الصهيونية :

المبحث الأول : الخلفية الدينية

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

Université Mohamed Boudiaf - M'sila

المطلب الأول - الإنجيليون و نبوءة قيام إسرائيل :

تشعب الديانة المسيحية إلى حركات ومذاهب مختلفة، ولها تفسيرات متباينة لنصوص الأناجيل المتعددة، واحدة من أكثر الحركات الدينية البروتستانتية انتشاراً في العالم، وفي الولايات المتحدة خاصة هي حركة «الإنجيليين»، والذين يؤمنون بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس، الذي هو بالنسبة لهم المصدر الوحيد للتعاليم المسيحية، وعلى المسيحيين الالتزام به بشكل حرفي من وجهة نظرهم .

من أبرز الشخصيات الإنجيلية التي شاعت شهرتها في أمريكا، هو القس بيلي جراهام¹، الذي عُرف بخطاباته الشهيرة التي بثها في مختلف وسائل الإعلام الأمريكية ، كما عمل مستشاراً روحياً للعديد من رؤساء أمريكا، مثل الرئيس الأمريكي الـ37، ريتشارد نيكسون²، و مع أنّ جراهام يعتبر أحد أشهر المبشرين الإنجيليين في المعاصرين ، إلا أنه قد سبقه من هو أخطر منه بكثير، والذي يعتبر الأب الروحي والمؤسس للمنهج «التدبري»*، هذا الرجل هو عالم اللاهوت جون نيلسون داري*، من أصول إيرلندية.

بحسب هذه العقيدة، فإن الحقب الزمانية ثلاثة ، الأولى عندما خلق الإله آدم، و بعدما أكل الفاكهة من الشجرة المحرمة طرده إلى الأرض، والثانية سلط الإله الطوفان الكبير على البشر، ونجّى أحيارهم مع نوح في سفينته، والثالثة هي حين لم يؤمن اليهود بالمسيح، التي اعتبرها داري الجريمة الأكبر في التاريخ، و هذا التدبير لم ينته بعد، فهو ما يزال سارياً اليوم حتى يُرينا الإله كيف سينال الجنس البشري عقابهم على هذه الخطيئة .

أثر هذا التفسير للنص المقدس بشكل عميق على الجماعات الإنجيلية التدبرية في الولايات المتحدة، وقد دفعهم بذلك إلى تنظيم مؤتمر سنوي كبير سمي بمؤتمر نياجرا للكتاب المقدس، والذي عُقد بين أعوام 1876-1897³، و خرج بتوصيات متتابعة للتأثير على مصادر القرار السياسي في أمريكا، داعمين بذلك مشروع الدولة الإسرائيلية الموعودة ، و كان من أول أعمالهم الضغط على الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون لتبني ودعم وعد بلفور* .

- المطلب الثاني : الجمعيات المسيحية و دعم الحركة الصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية :

1

2

*

3

منذ بداية القرن العشرين، لم تكن هذه الحركات الدينيّة ذات أثر كبير، وذلك لمعارضتهم المستمرة للنّهج الليبرالي الذي قلّص من دور الدّين في الحياة العامّة في أمريكا. ففي عام 1933، عارضت الحركة الإنجيليّة القانون الذي يسمح ببيع الكحول في المرافق العامّة، وكانت الكنائس الإنجيلية تمنع بيع الكحول إلاّ في الإستخدام العلمي والطّي .

وبعد نهاية الحرب العالميّة الثّانية، بات للحركة الصّهيونيّة تأثيرا ومكانة كبيرة في أوروبا، خاصة بعد أن وظّفت أحداث الهولوكوست¹ لصالحها ، و تبنّت جمعيّات الإله ، وهي مجموعة مكوّنة من 144 كنيسة وطنيّة، قرارًا يدين معاداة السّامية ويدعو إلى قيام دولة إسرائيل، وقد جاءت نبوءة عودة المسيح وقيام دولة إسرائيل حافزًا كبيرًا لهم للعودة إلى معترك السياسة، بالتزامن مع الإنتشار الكبير، وصعود نجمي إثنين من أشهر القساوسة الإنجيليين في أمريكا، وهما **جيرى فالويل***، و **بات روبرتسون*** ، الذين حُظيًا بشهرة كبيرة من خلال الظهور على وسائل الإعلام الأمريكيّة ، وبالتالي أصبح لهما تأثير سياسي كبير، و تسابق المرشّحون الجمهوريّون للتّحالف مع **فالويل** لاستقطاب أصوات المسيحيّين في أمريكا.

أسّس **فالويل** جامعة «الحرية» في ولاية فيرجينيا، التي ضمّت ما يقارب الـ 12 ألف طالب، و 34 ألف طالب عن بعد. كما أنشأ صديقه **روبرتسون** جامعته الأخرى، ضمّا بذلك 5 آلاف طالب، وفي عام 2007؛ كُشِف أنّ رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق **يهود باراك** كان أحد أعضاء هيئة التدريس في جامعة **روبرتسون**² ، صعد نجم إنجيلي آخر، وهو **القس جون هاجي**، ذو قاعدة الأتباع الأكبر في ولاية تكساس، صاحب الفضل في ظهور إحدى أبرز المنظّمات الإنجيليّة الدّاعمة لإسرائيل المسماة (منظّمة المسيحيّون المتحدّون من أجل إسرائيل) المعروفة اختصارا بـ «**كوفي**»، الشّريك الإستراتيجي لمنظمة «**أيباك**» في الدّفاع عن مصالح إسرائيل داخل أمريكا.

- المطلب الثّالث : الإنجيليّون و إسرائيل و توثيق الصّلات بعد النّكسة :

بعد نكسة عام 1967، إنبرت جمعيّات الإنجيليّين لدعم إسرائيل، مع محاولة إظهار الحياد في مسألة الصّراع بين العرب و إسرائيل . فقد تبنّت التّصريح بالحق في الوجود لكلا الطّرفين ، إلّا أنّها دعت بعد ثمانية أعوام، إلى تعديل وتطوير حدود دولة إسرائيل لضمان سلامتها، حتّى لو كان ذلك على حساب أراض عربية جديدة.

في 23 جوان 1969 قام الإنجيلي بيلي جراهام بلقاء عشرات خامات و زعماء الطوائف اليهودية في أمريكا، وأكد لهم على ضرورة تأسيس حوار بين الإنجليين واليهود الأمريكان و بناء جسور التواصل بينهما، لخلق دعامة ثابتة و مشتركة مع إسرائيل، وكانت هذه لحظة فارقة في تاريخ العلاقة بين الحركة البروتستانتية الإنجيلية و الطائفة اليهودية في أمريكا .

نتج عن هذا التعاون إقامة عديد المؤسسات والتجمعات الدينية ذات الطابع اليميني المحافظ، الداعم لدولة إسرائيل ، و توالى عقد المؤتمرات و اللقاءات و كان أول مؤتمر يجمع هؤلاء المسيحيين الصهاينة المنظم من قبل الحكومة الإسرائيلية عام 1971، شارك فيه ما يناهز الـ 1500 قسًا في

مركز المؤتمرات في القدس، في عهد رئيسة الوزراء الإسرائيلية غولدا مائير*، ثم تتابعت الزيارات تحت غطاء السياحة الدينية، خاصة بعد تسلّم رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن* السلطة ذو العلاقة المتينة مع جيري فالويل، والذي تبني سياسة الإستيطان بعد رحلته إلى إسرائيل عام 1978، وعندما أقرّت الأمم المتحدة القرار 3379 في 10 نوفمبر 1975، الذي يعتبر الصهيونية شكلًا من أشكال العنصرية أثار ذلك سخطًا واسعًا بين أوساط الإنجليين، والكاثوليك، وغيرهم من المجموعات البروتستانتية في أمريكا.

وكان من أبرز موجات غضب المسيحيين الصهاينة عام 2002 ، عندما انتشرت العمليات الفدائية الفلسطينية، إذ طلب الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن من الإسرائيليين التحلي بضبط النفس، مما أشعل غضب المسيحيين الصهاينة، و قاموا بإرسال مئات الرسائل إلى جورج بوش ليتوقف عن الضغط على رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون، والسماح له بالتخلص من أسموهم بالإرهابيين ، والتي تبعها عملية الدرع الواقي للقوات الإسرائيلية، التي بدأت بضرب مدن فلسطينية، مثل طولكرم، وجنين، وبيت لحم، وهدفت للقضاء والتخلص من الإنتفاضة الفلسطينية الثانية من جذورها.

المبحث الثاني : رابطة المصالح الإستراتيجية

المطلب الأول - الحضور الإقليمي بالنيابة :

رغم أنّ المصالح العربية-الأمريكية تفوق نظيرتها الأمريكية-الإسرائيلية نظرًا لتركّز 60 في المائة من احتياطات النفط العالمي في المنطقة العربية و ما يضاهاها من الغاز و باقي الثروات إلّا أنّ محدّدات السياسة الخارجية

الأمريكية تدفع باتجاه تغليب كفة الجانب الإسرائيلي بدرجة التوازن المراعي لمصلحة الجانبين ، هذا التوازن الذي يركز على جملة من المبادئ الضامنة لاستمرارية العلاقة حتى وإن كان هناك - في كل مرة - تعديل وفق المتغيرات السياسية الطارئة ، تتمثل هذه المبادئ في ما يلي :

- 1- إعتبار إسرائيل إمتداد طبيعي لأمريكا و هي المنصة الإقليمية الزراعية لمصالح أمريكا في المنطقة .
- 2- و حيث أنها كذلك وجب على الولايات المتحدة الأمريكية دعمها و حمايتها باستمرار و ضمان تفوقها الإقليمي مرتبط بمدى هذا الدعم .
- 3- العلاقات الأمريكية-الإسرائيلية متكاملة و مبنية على توحيد المصالح و الغايات الإستراتيجية ، ولذلك فإسرائيل بالنسبة لأمريكا مركز متقدم للدفاع عن أمن الغرب و بسط نفوذه على المنطقة و إبقائها تحت السيطرة ، أما بالنسبة لإسرائيل فإنّ فالولايات المتحدة الأمريكية حليف وثيق الصلة تستند عليه في تطبيق مبدأ الأمن الإسرائيلي و ديمومته .
- 4- الوسط الغير متجانس لإسرائيل (باعتبارها إنتاجا غريباً) مع محيطها - ذي الثقافة الشرقية - أسهم في إلزام الو م أ - شرطي العالم - برعايتها و حمايتها لاعتبارات حضارية فهي نموذج الديمقراطية الغربية و هي أيضا نمط الحياة الليبرالية المنشودة الذي تسعى أمريكا و من وراءها الغرب بأكمله لتسويقه للعالم .

- المطلب الثاني : النّقط

في أحد التصريحات الهامشية للرئيس الأمريكي المثير للجدل **دونالد ترامب** نفى فيها ربط تواجد الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط بالنّقط بل من أجل حماية إسرائيل ، و إن كان محققاً في الشّطر الثاني من تصريحه فإنّه ليس كذلك فيما يخص مسألة النّقط ، و أضاف في هذا الحوار الذي تجاهلته الصحافة المحلية " أن الولايات المتحدة ليست بحاجة ماسة للنّقط ولكن يجب علينا التواجد في الشرق الأوسط لحماية إسرائيل"¹.

لقد أثار هذا التصريح استغراب الصحفية الأمريكية المحافظة **باربرا بلاند** - و هي الصحفية الوحيدة التي نقلت هذه التصريحات - حيث تساءلت عن جدوى تورط أمريكا في حرب العراق إذا لم يكن ذلك بسبب

¹ - <https://www.alquds.co.uk> / ترامب-الولايات-المتحدة-موجودة-في-الشرق /

حاجتها الملحة للنفط العربي ، حتى وإن تمّ ذلك تحت غطاء مزاعم إدارة جورج بوش الابن حول امتلاك حكومة صدام حسين لبرنامج متقدّم لإنتاج أسلحة دمار شامل.

منذ ظهور النفط و شيوع استخدامه الأساسي و الحيوي في النصف الثاني من القرن العشرين ، قامت عديد الحروب في مناطق شتى من العالم للسيطرة على منابعه ، و أقرب مثال على علاقة النفط بالسياسة و الحروب هو الحرب العربيّة الإسرائيليّة 1973 و الغارة الجويّة الأمريكيّة على ليبيا و حرب الخليج الثانية و ما تلاها من حصار للعراق و تجويع لشعبه ثم تدميره، و جميع هذه الحروب كانت الولايات المتّحدة الأمريكيّة طرفاً أساسياً فيها إن لم تكن صاحبة اليد الطولى في افتعالها .

من هنا يظهر التّحليل في تصريح ترامب للتّغطية على أهميّة دعم الولايات المتّحدة لإسرائيل باعتبارها قاعدة حيويّة قريبة من أغنى مناطق العالم بالنفط ، لأن حقيقة الأمر أنّ جميع هذه الحروب قد شنت لاقتلاع حكام مناوئين و تثبيت غيرهم يسهل التّحكّم فيهم ضدّ مصالح شعوبهم و تجنيدهم كعملاء يسهرون على حماية المصالح الغربيّة و على رأسها تسهيل وصول النفط العربي للغرب بأدنى الأسعار.

مع حلول الألفية الجديدة تزايدت حاجة الولايات المتّحدة الأمريكيّة للنفط ، و بما أنّ نصف الإحتياطي العالمي من هذه المادّة الحيويّة موجود في الشرق الأوسط ، يمكن لنا تقدير وزن المنطقة الإستراتيجي في موازين الإقتصاد العالمي ، بل إنّ الذين انكبوا على رسم خارطة التّقسيم وفق اتّفاقية سايكس بيكو لم يكن غائباً على أذهانهم غنى المنطقة بالنفط بل كانت آبار النفط هي المعلم الأساسي لتلك الخرائط ، يقول انطوني سامبسون في كتابه عن شركات النفط المعنون بـ "الشّقيقات السّبع" مايلي: ((تظاهرت الدّولتان - و يقصد طبعاً بريطانيا و فرنسا - بأنّ النفط لا يحتلّ مرتبة الأولويّة في أذهانهما، لكنّهما أظهرتا اهتماماً خاصّاً بمنطقتين تقعان على امتداد نهر دجلة في بلاد الرّافدين (العراق)، و هما منطقة بغداد و الموصل ، حيث اشتبه بأنّهما تحتويّان على كمّيّات ضخمة من الإحتياطي النفطي))

و يضيف الكاتب ((حقّاً إنّ أرخص و أغنى و أوفر مخزون نفطي كان يقبع تحت الرّمال في الأراضي التي كانت تسكنها الشّعوب العربيّة))¹.

¹- جون روز : مرجع سابق , ص15.

من هنا يتبين لنا الأهمية البالغة للنفط العربي في اعتبارات السياسة الأمريكية في المنطقة العربية بغض الطرف عن موضوع الإستييطان اليهودي في فلسطين ، فما بالك إذا اقترن بدعم قيام و بقاء إسرائيل قوّة ، و ما تصريحات ترامب و غيره من الرؤساء الأمريكيان إلّا ذرّ للرّماد في العيون.

- المطلب الثالث : تقاطع المصالح :

منذ حلول الولايات المتحدة الأمريكية محل الإمبراطورية البريطانية في أربعينيات القرن الماضي، وهي تسعى للحفاظ على مصالحها الإستراتيجية ومصالح حلفائها في منطقة الشرق الأوسط، باعتبار أنّها قلب العالم ومن يسيطر عليها يسيطر على العالم، لما تملكه من ثروات نفطية يعتمد عليها الإقتصاد العالمي، وفي القلب منه الإقتصاد الأمريكي.

وتنشط الولايات المتحدة في طريقها لبسط السيطرة على الشرق الأوسط بالتعاون وثيق مع دول إقليمية متعارضة المصالح بينها عداءً شديداً لبعضها البعض، و إسرائيل أحد أهمها .

و لا تجد الإدارات الأمريكية المتعاقبة أي حرج في تغيير ذلك التعاون مثلما فعلت مع إيران والعراق الذي أصبح حليفاً لأمريكا في منطقة الشرق الأوسط بعدما تمّت الإطاحة بالرئيس العراقي "صدام حسين" سنة 2003، وهي في هذه التحالفات تؤكد أن الشرق الأوسط هو المعين الذي تتزوّد منه بما يلزم من الطّاقة لمواجهة عناء التنافس الدولي.

والولايات المتحدة في حركتها هذه تغير الرؤى والاستراتيجيات الحاكمة لحركتها بما يخدم مصالحها ودورها، وحتى لو أدى ذلك إلى إعادة تشكيل نظام الأمن الدولي ، مما يعكس تخطيطاً أمريكياً جيو سياسياً عالمي الأبعاد للحفاظ على المصالح الأمريكية من أجل هدفين رئيسيين :

الأول: الحصول على مواد الطّاقة الحيوية الخام اللازمة لصناعتها من جهة.

الثاني: التواجد حيث الكتل السكانية و الأسواق لتصريف فائض السلع.

و منطقة الشرق الأوسط تلي هذه الشروط و بالتّالي تضمن مصالح القوى الكبرى بتوجهاتها المختلفة، و لذلك فإنّ من يسيطر على الشرق الأوسط يسيطر على النفط العالمي، ومن يسيطر على النفط العالمي يتحكّم في إقتصاد العالم في مدى المستقبل المنظور.

و نظر الولايات المتحدة الأمريكية للشرق الأوسط من هذه الزاوية هو ما يجعلها توثق الصلة مع إسرائيل و تحرص على إبقائها بعيدة عن التهديد و هي بذلك تبقى مصالحها أيضا آمنة و بعيدة عن التهديد.

المبحث الثالث : التبريرات السياسية

المطلب الأول - الدور الوظيفي لإسرائيل :

إنّ مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية و ما تبعها من توسّع في أدوار الولايات المتحدة على مسرح الأحداث العالمي يفرضه قدرها الهائل من النفوذ و المسؤولية يوازي تفوّقها العسكري والإقتصادي، وفي ظل تراجع بريطانيا و فرنسا المنهكتين ، أضحت من الجلي اعتبار إسرائيل رصيد استراتيجيا¹ مواليا لأمريكا في منطقة الشرق الأوسط ، يمكن أن تساهم في حماية مصالح هذه الأخيرة عبر قيامها بلعب دور الدرع ، خاصّة في ظل تنامي العلاقات العربيّة السوفياتيّة في عرّ الخطاب القومي العربي .

و تعزّز هذا التوجّه بعد نكسة جوان 1967 م، حيث أدركت الولايات المتحدة مدى نجاحها في الرّهان على إسرائيل و لذلك سارعت لنقل علاقتها معها من خانة التّبعيّة إلى خانة الشّراكة ، يمكن اختصار وظيفة إسرائيل في المنطقة العربيّة بما أوجزه الكاتب و المفكر العربي أحمد البرقاوي في أحد مقالاته : " لذلك تعتبر إسرائيل أهمّ قوة منتدبة من قبل الغرب في المنطقة العربية للعب أكبر دور وظيفي ريادي ذو طابع خدماتي تبادلي بحيث يرى البعض في الدولة العربية أنّها لا تعدو عن كونها مجرد دولة وظيفية تسهر على خدمة الوجود العسكري و الإقتصادي الغربي ، وحماية مصالحه في الوطن العربي، فهذا المشروع الاستعماري الحيوي الذي من أبرز أهدافه الاستيلاء على مراكز القوة السياسية والاقتصادية العربية معاً"²

و الواقع أنّ إسرائيل توفّر لأمريكا المعلومات الإستخباراتيّة الإستراتيجية وقواعدها و مطاراتها ولهذا يمكن التّعويل عليها في معاقبة دولة ما على تماديها أو تمزّدها عن الخط المرسوم لها ، ويتمّ ذلك بجهد يكلف أمريكا أقلّ بكثير بما لو قامت به بنفسها، ففي حديث لإذاعة الجيش الأمريكي إعترف وزير التّخطيط و التّنسيق الإسرائيلي الأسبق ((أنّ إسرائيل تقدّم خدمة رخيصة كقاعدة للمصالح الأمريكية، فهي تحل محل عشرة حاملات

¹ - دور الولايات المتحدة في إحداث تحوّل ديمقراطي في فلسطين ، ص22.

² - البرقاوي أحمد : قراءة سياسية في وظيفة الدولة العربية

طائرات التي ستكلف أمريكا 50 مليار دولار بينما تقنع إسرائيل بعشر هذا المبلغ لتلعب الدور نفسه و بشكل أفضل))، و هو تفسير يبرز المساعدات السنوية الأمريكية لإسرائيل حسبه .

المطلب الثاني - متطلبات الحرب الباردة:

ظهرت إسرائيل ككيان سياسي عام 1948 بفضل جملة من المتغيرات أو الظروف التي أعادت رسم الخارطة السياسية العالمية و التي ساعدت الحركة الصهيونية في تنفيذ أجندتها المرسومة بدقة ، من أبرز تلك المتغيرات الدولية - التي لولاها ما كان لإسرائيل اليوم أن يكون لها وجود - على الساحة الدولية هي نهاية الحرب العالمية الثانية بانتصار دول الحلفاء (كالولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا) الزاعيان الرسميان للمشروع الصهيوني و الذين انخرطوا مباشرة في حرب جديدة و شاملة قسمت العالم شطرين ألا و هي الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي الغربي بزعامة أمريكا و الشيوعي الشرقي بزعامة الإتحاد السوفياتي ، أستمعلت فيها شتى وسائل الحروب إلا الأسلحة .

من ضمن هذه الوسائل و السياسات سياسة السيطرة على مناطق النفوذ أو ما عرف في أدبيات الحرب الباردة بـ (سياسة الإحتواء)، لذلك لم يكن غائبا على ذهن الرئيس الأمريكي سيء السمعة هاري ترومان* و هو يسارع للإعتراف بإسرائيل عضوا جديدا في هيئة الأمم المتحدة ، أنّ هذه الخطوة من شأنها تعريض المصالح الأمريكية في الوطن العربي إلى الإضرار وقد يسرع بالمنطقة إلى الإرتقاء في حضن الغريم السوفياتي .

و مع ذلك قام بها مدفوعا بتقارير مستشاريه حول تعاطف الأوساط الأمريكية مع المشروع الصهيوني وفق قناعة دينية يمكن استثمارها سياسيا داخل الحدود الأمريكية ، تطوّرت هذه الرؤية كثيرا وبلغت ذروتها بعد عشرين سنة خلال حرب الستة أيام ، و التي كانت بالنسبة لقيادة المعسكرين حربا بالوكالة ، فقد كان واضحا أنّ الدول العربية تعتمد اعتمادا كاملا على الإتحاد السوفياتي في تقوية ترسانتها العسكرية ، في مقابل اعتماد إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية بشكل شبه كامل في بناء قدراتها العسكرية و قد نجحت في ذلك المسعى نجاحا كبيرا ، و خير دليل على ذلك حسم الجيش الإسرائيلي للمعركة في مدة أيام معدودة و دون تكلفة كبيرة قياسا على ما حققته إسرائيل من مكاسب على الأرض، بعد أن استولى على باقي الضفة الغربية و قطاع غزة و شبه جزيرة سيناء المصرية ومرتفعات الجولان السوري .

و أمّا بالنسبة لأمريكا فقد اعتُبر كل ما جرى إنتصارا مذهلا و (عرضا حيّا لبأس إسرائيل العسكري)¹ و من ثمّ أدرك قادة أمريكا حينها (نيكسون و كيسنجر) حاجة أمريكا لإسرائيل كورقة استراتيجيّة و وسيلة يمكن تفعيلها لكبح التّفوذ السّوفياتي بالمنطقة.

المطلب الثالث أسباب أخرى :

هناك أسباب جمّة و كثيرة لا يتّسع المجال لحصرها و مع ذلك يمكن عدّ بعضها منها مثلا :

- الإمتداد الحضاري الغربي حيث أن الكيان الصّهيوني أقرب إيديولوجيا و ثقافيا للغرب منه للحضارة العربيّة الإسلاميّة .

- ضمان بقاء المنطقة بعيدة عن أي تيّارات نهضويّة من شأنها بعث مشروع يؤدّي إلى تهديد مصالح الغرب المحليّة .

- مواجهة و قمع الأنظمة المارقة و الحيلولة دون حيازتها للأسلحة التّويّة مثلما حدث مع العراق سنة 1981 و 2003 و ما يحدث حاليا مع إيران .

- تعتبر إسرائيل المكان المفضّل و الأمثل للجيش الأمريكي لتجربة مختلف أنواع الأسلحة الحديثة من صواريخ متطوّرة و أنظمة اعتراض مثلما هو الحال مع تجربة منصّات صواريخ الباتريوت خلال الحرب مع العراق ، و نظام القبة الحديدية لاعتراض صواريخ المقاومة الفلسطينيّة المنطلقة من غزّة و صواريخ حزب الله الآتية من لبنان .

- جعل إسرائيل منطلقا لمحاربة ما يسمّى حاليا بالإرهاب الدّولي و هو الإصطلاح المطّاطي الذي يخضع تعريفه لجملة من المصالح الأمريكيّة و الغربيّة .

- المزايدة على العالم العربي و الإسلامي بالقيم الدّيمقراطيّة الغربيّة التي تمثّل إسرائيل وجهها بالمنطقة حيث لا يفتأ السّاسة الأمريكيّون الإشادة بهذه التّجربة و اعتبارها نموذجا يحتذى في تجاهل تام و تجاوز كامل للواقع ، إذ أنّ العام و الخاص يعلم أنّ النّظام القائم في إسرائيل قائم على العنصريّة والطبقيّة و الإستبداد ، و نحن هنا لا نجعل الفلسطينيّين طرفا في هذه المعادلة طبعا ، بل بين مكّونات المجتمع الإسرائيلي نفسه.

¹- اللّوبي الإسرائيلي و السّياسة الخارجيّة الأمريكيّة ص 86

- القيمة المعنوية لإسرائيل في ميزان السياسة الدولية باعتبارها كيانا تابعا لأمريكا ، و من هذا المنطلق فتهديد إسرائيل بمثابة جسارة على الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، و المساس بأمنها مساس بركن أساسي من منظومة الأمن القومي الأمريكي .

إنّ العقد الصّامت (بتعبير المسيري) بين أمريكا و الغرب عموما و إسرائيل له عديد الظلال المصلحية المتبادلة ، ومع ذلك فلم يفتأ يتساءل الملاحظون و المحللون السياسيون طيلة النّصف الثاني من القرن السّابق و منذ بداية القرن الحالي عن غرابة و فزادة هذه العلاقة عن التّاريخ الطّبيعي للعلاقات بين الدّول و الأمم، إنّ هذه العلاقة توجّهها السياسي الجمهوري الأمريكي اليهودي جون روز بتأليف كتابه المعروف و الذي يحتوي عنوانه على الوصف الدّقيق لطبيعة هذه العلاقة ، فقد حلّل جوانب هذه العلاقة الغريبة و فضح جوانبها المريبة تحت عنوان (إسرائيل : الدّولة الخاطفة ، كلب الحراسة الأمريكي في (الشرق الأوسط) ، أثار هذا الكتاب جدلا واسعا في الأوساط الأكاديمية والسياسية الأمريكية و حتّى العالميّة ، أمّا الرّأي العام المحايد و العربي الإسلامي فلم يشكّل لديه أيّة إضافة علميّة تذكر ، ذلك أنّ ما جاء في مضمون الكتاب معروف سلفا و لم يكن ينقصه غير الإعتراف بوقائعها ، فيما لسان حال الفلسطينيين يرّدّد (الحق ما شهدت به الأعداء).

الفصل الثاني

أسباب و مظاهر الرّعاية الأمريكيّة للكيان الصّهيوني و
أثرها في توجيه الصّراع.

المبحث الأول : اللّوبي الصهيوني في الولايات المتحدة و أثره على السّياسة الأمريكيّة
تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

إنّ مرجعية الدّعم الأمريكي للكيان الصّهيوني تعود في الأساس لوجود ما يسمّى بـ "اللوبي الصهيوني" كجماعة ضغط في الولايات المتحدة الأمريكية وتمتّعه بقدرة فائقة على التأثير على الإدارة الأمريكية. فالأخير ليس بكيان واحد أو هيئة وإنّما مجموعة كيانات متوازية في نشاطها متّحدة في أهدافها بغرض تطويع السياسة الأمريكيّة وتوجيهها لمصلحة الكيان الصهيوني عبر قناتين أساسيتين وهما: ممارسة الضّغط على الكونجرس والفرع التنفيذي لدعم إسرائيل ومحاولة استمالة الآراء إلى الصّف الإسرائيلي، والضّغط على الخطاب العام حتى لإظهار إسرائيل بمظهر إيجابي عدا كونها ضحيّة وسط أعداء.

وفي إطار تنفيذ استراتيجيات اللّوبي الصّهيوني، فإن نفوذه يمتد ليشمل الآتي :

المطلب الأوّل 1 - التأثير على الكونجرس :

يتركّز نفوذ اللّوبي الصّهيوني في الكونجرس في اللّجنة الأمريكيّة الإسرائيليّة للشؤون العامة "إيباك"، إذ تضم نحو 4500 من كبار الشخصيات اليهودية في المجتمع الأمريكي وتعتمد في سياستها داخل الكونجرس على سياسة الثواب والعقاب، إذ تدعم و تكافئ من يدعمها بإغداق الأموال عليه ودعم مرشّحه في الانتخابات وتعاقب من يعاديهما بأن توجه تبرعاتها للحملة الانتخابية لخصومه السياسيين(4) .

إذ يشير توماس فريدمان، كاتب في صحيفة نيويورك تايمز، وهو من أشد مؤيدي إسرائيل، إلى شبكة المنظّمات اليهودية و لجان العمل السياسيّة الموجودة في الولايات المتحدة، والتي بدورها تعمل على توجيه الانتخابات لصالح أو ضد مرشّحي الكونجرس. لأنّ المرشّح قد لا يُحرم من دعم تلك المنظّمات المالي فقط بل وتمويل خصمه كذلك(5) .

المطلب الثاني 2- توجيه الحملات الانتخابية للرئاسة :

ينطلق نفوذ اللّوبي الصهيوني و سيطرته على قوة تأثير النّخبين اليهود في الانتخابات الرّئاسية الأمريكيّة ، فعلى الرّغم من قلة عددهم حيث يمثّلون أقل من 3% من إجمالي عدد السّكان إلا أنّهم يمولون نحو 60% من تكاليف الحملات الانتخابية لمرشّحي كلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري، وعملياً فإنّ أغلب اليهود يمنحون أصواتهم للحزب الديمقراطي لأنّه يعبّر بشكل أكبر عن مصالح الأقليات ، إلّا أنّه إذا ما اقتضت المصلحة دعم مرشح جمهوري فلا مانع لديهم ، والدليل على ذلك تكاتفهم ودعمهم للرئيس الأمريكي دونالد ترامب في انتخابات 2016، بسبب وعوده الانتخابية الدّاعمة لإسرائيل.

كما أن نسبة مشاركتهم في الانتخابات تصل إلى 92% في مقابل 54% من عامة الأمريكيين، الأمر الذي يعطي لنسب تصويتهم تأثير فعال في نتائج التصويت، علاوة على أن اليهود أكثر الأقليات تركّزًا في المدن وهو ما يعني تضاعف قدرتهم على التأثير، إذ يتركّزون في الولايات المهمة ذات المقاعد الأكثر مثل نيويورك وفلوريدا وكاليفورنيا. الأمر الذي يجعل للّصوت اليهودي أهميّة لدى كل مرشح ومن ثم يسعى إلى استمالته بإظهار دعمه لإسرائيل ونتيجه إذا ما فاز في الانتخابات أن يتبنى سياسات إسرائيل وأن يكون حاميًا لها في الشرق الأوسط(6).

لذا بات من البديهي أن يسعى أيّ مرشح للرئاسة أو حتّى يفكر في الأمر أن يكسب ود إسرائيل ويعمل على استرضاءها. وقد عبر عن ذلك مرارًا وتكرارًا مرشّحين مختلفين، كقول جورج دبليو بوش أمام اللجنة الأمريكية الإسرائيلية "إيباك" عام 2001 إن « سلامة وأمن إسرائيل هي الأولوية الأولى لسياستي الخارجية وإن إدارتي ستدعم إسرائيل بكل قوّة ضدّ الإرهاب والعنف وذلك بدعم وضمن الحرية والرّخاء والأمن للدولة اسرايل». (7)

وتصريح الرّئيس الأمريكي دونالد ترامب قبل فوزه بالانتخابات عند لقائه برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو « إنّ إسرائيل ومواطنيها عانوا لفترة طويلة جدًّا في الخطوط الأمامية ضد الإرهاب الإسلامي، وإنّ الشعب الإسرائيلي يريد السّلام العادل والدائم مع جيرانهم، ولكن السّلام لن يتحقّق إلّا عندما يتخلّى الفلسطينيون عن الكراهية والعنف ويقبلوا إسرائيل دولة يهودية. (8)»

وتصريح الحملة الانتخابية له في أكثر من سياق أن "القدس لطالما كانت عاصمة أبدية للشعب اليهودي منذ أكثر من 3000 سنة، وأن الولايات المتحدة في ظل إدارة ترامب، ستقبل الإعتراف بالقدس عاصمة غير مقسّمة لدولة إسرائيل. (9) « ، ففي سبيل فوز ترامب بالانتخابات قامت حملته الانتخابية بعمل دعاية داخل إسرائيل بعنوان "ترامب يساوي المصلحة الإسرائيلية" ، وذلك من أجل حثّ الناخبين الذين يحملون الجنسية الأمريكية هناك على أن يعطوا أصواتهم في الانتخابات لترامب (10). لأنّ ترامب وحملته كانوا يعوا جيّدًا مدى قوّة اللّوبي الصّهيوني ومدى قدرته على التأثير في الانتخابات وقلب المعادلة في لحظة واحدة .

المطلب الثالث 3 - الهيمنة على وسائل الإعلام و التّغلغل في معاهد الدّراسات و البحوث:

إلى جانب نفوذ اللوبي في الكونغرس والفرع التنفيذي، فقد سعى اللوبي الصهيوني لتحسين صورة إسرائيل في الأوساط الإعلامية وتصويرها بأنها ضحية الإرهاب، وأنها دوما تسعى للسلام ولكن الفلسطينيين هم من يرفضون التصالح، وبالتالي عملت المنظمات الموالية لإسرائيل على التأثير على مراكز الأبحاث لمساعدتها في تشكيل الرأي العام لما فيه صالح إسرائيل. وتعتبر أشهر المحطات التلفزيونية الداعمة لإسرائيل ABC و NBC و CBC و CNN، وأبرز شركات السينما الموالية لها فوكس وبارامونت ويونيفرسال(11) أذرع إعلامية توكل لها رسم صورة نمطية عن العرب و المسلمين تتوافق واحتياجات اليهود عموما و اللوبي الصهيوني بشكل خاص .

كما تلعب مراكز الدراسات والبحوث دورا كبيرا في صياغة الرأي العام والضغط على الإدارة الأمريكية بل وأحيانا كثيرة تساهم في صنع السياسة، لذا عمل اللوبي الصهيوني على إنشاء ترسانته الفكرية وهو «معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى» عام 1985. ولم يقتصر نفوذ اللوبي على هذا المعهد فقط بل امتد ليشمل معهد المشروع الأمريكي، ومعهد بروكينغز، ومركز السياسة الأمنية، ومعهد بحوث السياسة الخارجية ومؤسسة التراث، ومعهد هدرسون، ومعهد تحليل السياسة الخارجية، والمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي (جيشا)(12).

وفي سبيل نشر أفكار وبحوث تلك المراكز، تقوم اللجنة الأمريكية الإسرائيلية بدفع تكاليف إرسال 400 نسخة مجانية أسبوعياً لأعضاء الكونغرس وكبار المسؤولين و وفود الدول إلى الولايات المتحدة، حتى باتت مشاركة الرؤساء الأمريكيين وكبار رجال الدولة في اجتماع الإيباك المنعقد سنوياً أمراً معتاداً.(13)

-المبحث الثاني : الرعاية السياسية

المطلب الأول / حق الفيتو :

1-1 الفيتو عصا الكبار لتطويع الصغار :

استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن لمصلحة إسرائيل لإجهاض أي محاولة لمحاسبة الصهاينة على جرائمهم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى بحق الشعب الفلسطيني، أو لحرمان العرب عموما والفلسطينيين خاصة من نيل حقوقهم المسلوبة.

و أدت المبالغة في استخدام حق الفيتو من قبل أعضاء مجلس الأمن الدائمون ، وخاصة أمريكا، إلى إصابة المنظمة الأممية بالشلل، وتغيبها عن الوجود في قضايا أساسية و مركزية مثل قضية فلسطين .

لقد وجد خبراء القانون الدولي أن امتياز استعمال الفيتو المكفول للأعضاء الدائمون بمجلس الأمن ، هو تناقض صريح مع أهم مبادئ وأهداف الأمم المتحدة، القائمة على تحقيق المساواة بين الشعوب وفق ميثاقها ، في إيجاد تسوية عادلة وشاملة لمجمل القضايا المطروحة مثل القضية الفلسطينية.

إنّ العضوية الدائمة ونقض القرارات الصادرة في مجلس الأمن (الفيتو) حقان لا يجوزهما سوى الدول الخمس الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية ، روسيا ، الصين ، بريطانيا و فرنسا) ، ولا تسمح لغيرها أن تشاركها في هذين الحقين.

فكل دولة من الدول الدائمة العضوية تسعى لأن تكون وحدها المتمتعة بحق العضوية الدائمة والنقض، و لذلك فالدولة التي تملك امتيازات في النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية يمكنها أن تفرض سيطرتها على توجيه وإدارة السياسة الدولية بما يخدم مصالحها، من هنا جاءت الهيمنة الأمريكية على المسرح العالمي خاصة بعد انهيار المعسكر الشرقي و زوال الثنائية القطبية.

وإذا كانت آثار حق “الفيتو” الذي وُضع أصلاً لضمان مصالح و هيمنة الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية على العالم، قد ظهرت عشرات المرات منذ تأسيس الأمم المتحدة عام 1945 على أنقاض عصبة الأمم، فإن أوزار هذا الحق الجائر المسمى مجازاً (حق الفيتو) قد أضحت اليوم مآسي وفواجع ظاهرة آثارها ، حيث أن هذه الوسيلة تُعتبر من بين أهم الأدوات التي سلبت الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره واسترداد حقوقه المشروعة و على رأسها تحرير أرضه المحتلة و عودة مهجريه .

1-2 أمريكا و حق الفيتو و نصرة إسرائيل:

كثيرة هي المحطات التي تعسفت فيها الوم أ في استعمال حق الفيتو خدمة لإسرائيل و دعماً لمصلحة الكيان الصهيوني الغاصب (أنظر الملحق) نسرد في مايلي نماذج من هذه المحطات السوداء في تاريخ أمريكا و مجلس الأمن التي تم فيها السطو و أمام أنظار العالم على حقوق الشعب الفلسطيني :

- 31 ديسمبر 2014 : أخفق مجلس الأمن الدولي، في تمرير مشروع قرار فلسطيني لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي خلال عامين بعد أن رفضته الولايات المتحدة باستخدام حق النقض (الفيتو) ،

- 18 ديسمبر 2017 : استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية حق النقض ” الفيتو ” رقم 43 لصالح إسرائيل، بعد تصويتها، منفردة، ضد مشروع قرار مصري يرفض إعلان ترامب القدس عاصمة لإسرائيل ونقل

السفارة الأمريكية إليها من تل أبيب، حيث صوتت 14 دولة، من أصل 15 عضوة في مجلس الأمن الدولي، خلال جلسة خاصة للمجلس، بناء على طلب من مصر، ويعكس استخدام الفيتو بشكل منفرد من سفيرة الولايات المتحدة نيكي هايلي العزلة الدولية التي تواجهها واشنطن بخصوص نقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس، وهو ما يعني فعلياً تجاهل مطالب الفلسطينيين في المدينة التاريخية العريقة¹.

وندّدت مندوبة الولايات المتحدة لدى مجلس الأمن نيكي هايلي بقوة بموقف المجلس، وقالت وهي متجهمة الوجه "إنها إهانة وصفعة، لن ننسى هذا الأمر أبداً".

وكانت مصر قدمت مشروع القرار الخاص بالقدس والذي يحذر من "التداعيات الخطيرة" للقرار الأمريكي ويطالب بإلغائه، بعد عشرة أيام على إعلانه من قبل الرئيس ترامب.

وقال الرئيس الفلسطيني محمود عباس تعليقاً على الإجراء الأمريكي المنتظر قبل اجتماع القيادة الفلسطينية في رام الله "نرفض أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية وسيطاً أو شريكاً سياسياً بعد موقفها هذا من اعتبار القدس عاصمة موحدة لإسرائيل".

هذا وقد وجّه رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو "الشكر" إلى المندوبة الأمريكية لدى الأمم المتحدة بعد أن استخدمت حق النقض في مجلس الأمن ضد قرار يدين الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل .

وقال نتنياهو في تغريدة على تويتر "شكراً للسفيرة هايلي، لقد انتصرت الحقيقة على الأكاذيب، شكراً للرئيس ترامب "قبل أن يكرر"شكراً لك نيكي هايلي".

- 01 جوان 2018 : سعت الولايات المتحدة إلى عرقلة صدور بيان من مجلس الأمن الدولي يدعو لإجراء تحقيق دولي في استشهاد أكثر من 116 فلسطينياً على أيدي القوات الإسرائيلية بمقربة من السياج الأمني الفاصل بين شرقي قطاع غزة وإسرائيل.

فقد لجأت الولايات المتحدة إلى استخدام حق الاعتراض "الفيتو" لمشروع البيان الذي أعدته الكويت العضو العربي الوحيد بالمجلس بالتنسيق مع ممثلي بعض الدول الأعضاء و الذي يدعو لاستصدار قرار لتوفير حماية دولية للمدنيين الفلسطينيين وإلزام الجيش الإسرائيلي بالتوقف عن "استخدام أي قوة مفرطة وغير متناسبة وعشوائية" .

ولقد كانت إسرائيل على ثقة من دعم الولايات المتحدة وتصديرها للدفاع عنها، الأمر الذي عبرت عنه نيكى هايلي، مبعوثة ترامب للأمم المتحدة قائلة بشأن العنف الدموي في غزة: "لا توجد دولة في هذه القاعة يمكن أن تتحلى بضبط النفس أكثر مما تقوم به إسرائيل".

واعتبرت الولايات المتحدة أن القرار يشكل "وجهة نظر متحيزة للغاية" وأخفق في إلقاء اللوم على حركة حماس في العنف الذي وقع في الآونة الأخيرة، و أنّ الأمم المتحدة متحيزة ضد إسرائيل، معتبرة أن أعضاء مجلس الأمن "مستعدون لإلقاء اللوم على إسرائيل، لكنهم غير راغبين في إلقاء اللوم على حماس".

وأضافت أن مشروع القرار الكويتي بإدانتته إسرائيل في أعمال العنف "يتضمن توصيفا على قدر كبير من عدم الدقة للأحداث الأخيرة في غزة." وقبل التصويت، حملت نيكى هايلي "حركة حماس الإرهابية المسؤولية الأساسية عن ظروف العيش المروعة في غزة."

وحظي مشروع القرار الكويتي بتأييد عشر دول بينها الصين وفرنسا وروسيا، بينما امتنعت بريطانيا وإثيوبيا وهولندا وبولندا عن التصويت.

المطلب الثاني: التأثير في السياسة الخارجية الأمريكية

ينطلق اللوبي الصهيوني الداعم لإسرائيل داخل أمريكا من استراتيجيتين شاملتين لضمان هذا الدعم ، أولاها ممارسة نفوذ على سلطة صناعة القرار السياسي و الثانية إشاعة خطاب مناسب يقدم إسرائيل بصورة عقلانية .

لشرح بسيط للاستراتيجية الأولى علينا أولاً أن نعلم أنّ آلية عمل السلطة السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية منقسمة بين الجهاز التشريعي و التنفيذي ، و هذا الأمر يمنح اللوبي الصهيوني مجالا لتنويع تكتيكاته حسب الجهاز المستهدف ، من خلال ضمان تواجد أفراد متعاطفين مؤثرين يقدمون دعما لإسرائيل غير قابل للإنقذ ، و هذه الحالة مجسدة فعلا في الكونغرس مثلا ، فمبنى الكابيتول يشهد عادة نقاشا حادا و صراعا تنافسيا يصل لحد النزاع بين أعضائه من شتى المشارب حول موضوعات من قبيل ضبط و توزيع تراخيص السلاح أو الحقوق الفردية و المدنية أو البيئة أو التأمين الصحي أو الهجرة أو السياسة التجارية يتم في العادة الوصول إلى توافقات حولها ، إلا ما تعلق بطرح موضوع " إسرائيل عندها يصمت الناقدون السياسيون و يكاد لا يحصل أي نقاش على الإطلاق." ¹

¹ - اللوبي الإسرائيلي و السياسة الخارجية الأمريكية ، ص228.

أما الإستراتيجية الثّانية فهي تبرير العناصر الواردة في الفصل الأوّل - المبحث الرابع من هذا البحث بعنوان (تبريرات سياسيّة) ، عبر تسخير وسائل الإعلام الثّقيلة و المملوكة في أغلبها - طبعا - لأذرع اللّوبي الصّهيوني الماليّة لخلق إنطباع إيجابي في العقل الجمعي للمجتمع الأمريكي حول إسرائيل يسهّل لاحقا الرّضا التّام عمّا تقدّمه أمريكا لإسرائيل من مساعدات - مهما كانت كبيرة - ¹.

إنّ هذه المساعدات لا ينظر إليها " كترعّعات أو إلتزامات أخلاقيّة أو هي نتيجة محصّلة ضغط اللّوبي اليهودي (الصّهيوني) داخل الولايات المتّحدة الأمريكيّة ، بل إنّ هذا الدّعم الرّاسخ في الحقيقة يعكس مصالح أمريكا العليا ، لأنّه فرض تقوم به حتّى يصبح الأمريكيّون أكثر أمانا " ، هذه الفكرة جوهر عمل جماعات الضغط اليهوديّة الدّاعمة لإسرائيل و التي سمّاها البروفيسور ستيفن والت *

المطلب الثالث رؤساء أمريكا و اسرائيل

منذ ظهر مشروع الحركة الصّهيونيّة لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، ظلّ دعم الرّؤساء الأمريكيّين أمرا مألوفًا على السّاحة السّياسيّة العالميّة ، و إلى يومنا هذا لازال المناصرون للقضيّة الفلسطينيّة العادلة يعلقون آمالا عريضة كلما حانت لحظة تنصيب رئيس أمريكي جديد ، في أن يولي هذه القضيّة نصيبها من الإهتمام لكن بشكل نزيه و منصف ، لكن ظلّت خيبات الأمل تلاحقهم مرّة بعد مرّة ، و لا يمكننا هنا استعراض مواقف و إنجازات جميع رؤساء أمريكا لصالح إسرائيل لكننا سنذكر بأبرزهم و أهمّ ما قدّموه لها من خدمات ، و نكتفي من البدء بالعام 1947 الذي شهد إصدار الجمعية العامّة لهيئة الأمم المتّحدة لقرار التّقسيم المشؤوم ¹⁸¹².

¹ - نفس المصدر ، ص84.

* ستيفن والت Stephen Walt أستاذ العلاقات الدوليّة في جامعة هارفارد صاحب مؤلّف (اللوبي الإسرائيلي The Israel Lobby) الذي نشر دراسة عام 2006 في مجلة (معرض لندن للكتاب London Review of Books)، بالتعاون مع البروفيسور جون ميرشايمر John Mearsheimer من جامعة شيكاغو (صدرت لاحقا في شكل كتاب أثار الكثير من الجدل يحمل العنوان ذاته)، وتعرّض لانتقادات شرسة من التّيار الدّاعم للكيان، ورفضت جامعة "هارفرد" أن يكون اسمها أو شعارها موجودين على الغلاف، كما رفضت مجلة "TheAtlantic" نشره، يدور في مجمله حول فكرة: هل من الضروري تقليص حجم المجتمع الموالي لإسرائي ؟ ، أو لماذا تستمرّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة بدعم "إسرائيل" بهذا الشكل الاستثنائي؟ فهي تعطي - بحسب المؤلّفين - الأولوية لأمن "إسرائيل" منذ العام 1967، حتى لو كان ذلك على حساب أمنها، وتقدم لها مساعدات مالية كبيرة، حتى في لحظات انتعاش اقتصادها ("إسرائيل")، إذ تمنح كلّ إسرائيلي معونة مباشرة تبلغ نحو 500 دولار سنويًا (بحسب وقت الدّراسة في العام 2006) ، للمزيد أنظر <https://www.almayadeen.net/articles/article/148543>: ستيفن والت - سر - العلاقة - الأمريكيّة - الإسرائيلية .

فالرئيس الأمريكي سيء السمعة "هاري ترومان" ¹ كان يشاع عنه عداؤه للصهيونية ² بل و اتهم بمعاداته للسامية في الأوساط الإعلامية ، تعرض للتهديد من قبل اللوبي الصهيوني غداة ترشحه للانتخابات الرئاسية لعام 1948 و حُيّر بين التصويت لصالح تمرير قرار التقسيم أو أن يصوّت المجمع اليهودي لصالح خصمه "جون ديوي" ، فقام بأكثر مما طلب منه، حيث أستغل نفوذه السياسي في الضغط على الدول المترددة بشأن الموافقة على القرار الأممي، و حين تمّ تحذيره من قبل مستشاريه ، من أنّ قفزه في حضان الصهيونية ، سيقوّض مصالح أمريكا مع العرب ردّ عليهم بقوله : " آسف أيّها السادة، إذ عليّ أن أتجاوب مع رغبات مئات الآلاف من المواطنين الأمريكيين الذين ينتظرون نجاح الصهيونية ، إنّّه ليس لديّ بين الناخبين مئات الآلاف من العرب" ³ .

إنّ أكثر الرؤساء الأمريكيين الذين نالوا شعبية جارفة في تاريخ أمريكا المعاصر - و كان الكاثوليكي الوحيد من بينهم - **جون فيجيرالد كينيدي** ، علّقت عليه الشعوب و الدول العربية و من خلفها الدول الإسلامية و الدول المتعاطفة معها المؤمنة بعدالة قضية فلسطين ، أمالا عريضة في إيجاد تسوية عادلة و نزيهة لفلسطين ، خاب أملها - حتى قبل اغتياله - بعد أن بعث إليه الرئيس المصري جمال عبد الناصر برسالة طويلة شرح له فيها الحقائق الأساسية للقضية الفلسطينية مضمّنا إيّاها العبارة الشهيرة (إنّ نشأة القضية الفلسطينية بدأت عندما أعطى من لا يملك لمن لا يستحق) ، هذه الخيبة جسّدتها القناعة الراسخة لجمال عبد الناصر بعد هزيمة حرب جوان 1967 بمضمون خلاصته (ما أخذ بالقوّة لا يستردّ إلّا بالقوّة) .

بالغ ساكنوا البيت الأبيض اللاحقون في إظهار التأييد لإسرائيل سياسيا و عسكريا ، و الرئيس الوحيد الذي تلجأ في صرف موازنة المساعدات الأمريكية لإسرائيل لأنّها خالفت طلبه بوقف بناء المستوطنات في الأراضي الفلسطينية هو **جورج بوش الأب** ، دفع الثمن غاليا بعد أنّ تم إسقاطه و عدم تجديد عهده - رغم وسمه قبلها بالبطل عندما شنّ الحرب على العراق و أزال كيانه السياسي من الوجود و جنّب إسرائيل خطره - أمام غريمه **بيل كلينتون** صاحب الرعاية التاريخية لاتفاقيات العار جولة مدريد و أوصلو 1991-1993 على التوالي ، و تكرّر هذا الأمر مع جميع الرؤساء بل و وصل في بعض الأحيان إلى الإهانة ، كما حدث مع الرئيس **باراك أوباما** الذي فشل في إقناع إسرائيل بتأجيل بناء المستوطنات 3 أشهر فقط إلّا بعد تقديم حزمة من المساعدات المالية و العسكرية و الأمنية من ضمنها مضاعفة صفقة الطائرات إف-35 من 20 طائرة إلى 40، عقابا له على تبنيّه حل الدولتين بداية عهده الانتخابية.

1

2

3 - ربيع محمّد عبد العزيز : المعونات الأمريكية لإسرائيل ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية : ص ص: 87، 88.

هذا فيض من غيض و مع ذلك يراهن العرب بما فيهم السلطة الفلسطينية على تسوية مرضية لهم تعيد لهم الحقوق المسلوبة تحت إشراف الإدارة الأمريكية.

- المبحث الثالث : الرعاية العسكرية

المطلب الأول- التمويل العسكري في الظروف العادية :

تغدق الولايات المتحدة الأمريكية بالمساعدات على إسرائيل و تتخذ في الغالب شكلا عسكريا أدى في النهاية إلى تبوأ الجيش الإسرائيلي مراتب ريادية في سلم ترتيب أكثر الجيوش المتطورة تكنولوجيا في العالم ، و أمريكا حريصة على ضمان تفوق الجيش الإسرائيلي الإقليمي .

بدأ التعاون العسكري بين الولايات المتحدة الأمريكية و إسرائيل شهر ديسمبر 1950 عندما اجتمع وزير خارجية إسرائيل آنذاك **موشي شاريت** بوزير الدفاع الأمريكي **جورج مارشال** ، و اتفقا على قيام الجانب الإسرائيلي بإعداد مذكرة تتضمن موقف إسرائيل من حصار الدول العربية ، و طلب مساعدة عسكرية مقابل خدمات لمصلحة الدول الغربية في المنطقة ، خاصة بعد هزيمة الجيوش العربية في حروب 1948م في عز الحرب الباردة ، و منذ ذلك التاريخ لم يتوقف تدفق المساعدات الأمريكية لإسرائيل و بصيغة المنح تارة و على شكل قروض و سندات تارة أخرى ، لا يلبث القادة الأمريكيون أن يمسخوها في كل مرة يودون فيها استمالة اللوبي الصهيوني لأغراض إنتخابية عادة.

و منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ظلت إسرائيل البلد الأكثر استقطابا للمساعدات الأمريكية و التي تأخذ - كما سبق - شكلا عسكريا ، لقد تم استحداث بند التمويل الخارجي أول مرة عام 1977م في عهد الرئيس الأمريكي جيمي كارتر، تم على إثره تقديم تمويلا عسكريا بقيمة 107 مليون دولار بغية مساعدة الكيان الصهيوني على تطوير دبابة ميركافا ، و 250 مليون دولار بنفس المسمى عام 1988 م لتطوير طائرة لافي ، و منه تم اعتماد التمويل السنوي دفعة واحدة بداية كل موازنة سنوية باستصدار قرار من الكونغرس ، هذا ناهيك عن الهبات ، ففي عام 2007 م قامت إدارة **جورج بوش الابن** بمنح 3.1 مليار دولار للجيش الإسرائيلي هبة

سنويّة إلى غاية 2018م ، و قد بلغت المساعدات العسكريّة المقدّمة في الفترة من 2007م إلى 2014م ما مجموعه 21.7 مليار دولار.¹

لا تتوقّف الولايات المتّحدة الأمريكيّة عن توقيع الإتفاقيات الثنائيّة مع الكيان الصّهيوني ، تحت غطاء جديد يتمّ استحداثه في كل مرّة ، فالأهمّ لكليهما أن إنشاء المزيد من القنوات المقنعة لمصالح الخزينة الأمريكيّة ، فقد وقّع رئيس الوزراء الإسرائيليّ إسحاق شامير إتفاقاً ثنائيّاً مع الرئيس الأمريكيّ رونالد ريغان سمي (إتفاق ريغان شامير) خلال زيارة لأمريكا في 29 نوفمبر 1983م ، تشكّلت على إثره لجنة عسكريّة مشتركة بحثت إبرام إتفاق مشترك يعطي لإسرائيل صفة تشبه صفة الحليف في الحلف الأطلسي و تنسيق التّعاون في المجال الإستخباراتي .

إنّ حصر قيمة المساعدات الأمريكيّة للكيان الصّهيوني أمر مستحيل نظريّاً حتّى بالنّسبة للطّرفين المعنّين ، فكثير من تلك المساعدات أخذت طابعاً سرّيّاً .

المطلب الثاني - الدّعم العسكري الأمريكي لإسرائيل في حروبها ضدّ العرب :

حرب 1948

ورثت الولايات المتّحدة الأمريكيّة بعد نهاية الحرب العالميّة الثانية عرش النفوذ البريطاني و الفرنسي و الرّوس في المنطقة العربيّة ، و لم يكن لها سابقة علاقات بها إلّا ابتداءً من سنوات الثلاثينيّات من القرن العشرين ، خلال عمليّات التنقيب عن النّفط في صحراء السّعوديّة ، و منه جاء اللّقاء الشّهير للرئيس روزفلت و الملك عبد العزيز آل سعود في 14 فيفري 1945م على ظهر الباخرة كوينسي في مياه قناة السويس ، و تمّ فيه توثيق الرّوابط المتبادلة : حماية السّعوديّة من طرف حصر استغلال أمريكا للنّفط الوفير ، و خلال تلك الفترة و درءاً لانزعاج الحلفاء في المنطقة العربيّة لم تكن الولايات المتّحدة الأمريكيّة قد أبدت أي تأييد للمشروع الصّهيوني ، و إنّما حدث ذلك في عهد الرئيس هاري ترومان .

¹ - سياسة الو م | اتّجاه عمليّة السلام العربيّة الإسرائيليّة ، ص 123.

عند تفجّرت حرب 1948م إستعانت الجيوش الصّهيونيّة بكثير من المرتزقة من جنسيات مختلفة من العالم ، لكن كان من أبرز ضبّاط إدارة المعارك على الأرض عدد كبير من الأمريكيّين غير الرّسميّين المتعاونين مع العصابات الصّهيونيّة كالهاجانة ، و كانت الحكومة الأمريكيّة على علم بما يجري و عندما زاد قلقها حاولت منع ذلك بأقل جهد ، كانت الجماعات اليهوديّة تقوم بجمع الأموال لشراء الأسلحة من أوروبا الشرقيّة خاصّة من تشيكسلوفاكيا -سابقا- ، على مرأى من الجميع في أمريكا و اكتفت الحكومة الأمريكيّة في أوت 1947 بتذكير النّاس بقانون الحياد¹، كما طلبت وزارة الخارجيّة من قنصليّتها في القدس إيفاءها بتقارير عن نشاط الأمريكيّين السّياسي و العسكري في فلسطين ، لعلمها المسبق بوجود المئات منهم ضمن صفوف العصابات الصّهيونيّة .

واصلت عصابات الهاجاناة و الأراغون خططها لاستقطاب و تجنيد العسكريّين الأمريكيّين و توظيفهم مدرّبين للمجنّدين اليهود غير نشر إعلانات التّجنيد في الصحف اليوميّة في أمريكا ، و للإفلات من تبعات قانون الحياد - الأنف الذّكر- كان يتمّ تزوير جوازات سفرهم و وثائقهم الثبوتيّة ، أحد أشهر هؤلاء العقيد ديفيد ميكي ماركوس ، شغل منصب مدّعي عامّا في مناهتن ، كما شغل منصب القائد العام في أركان الجنرال لوشوس كلاي في برلين أثناء الحرب العالميّة الثّانية ، إنضمّ العقيد ماركوس إلى عصابات الهاجاناة و أصبح قائدا لجهة القدس ، و إليه يرجع الفضل في تحويل العمل السّري للعصابات الصّهيونيّة إلى تنظيم علني منظمّ و حديث .

بلغت عدد المتطوّعين الأمريكيّين خلال الحرب بين عامي 1948-1949 نحو 1300 (متطوّع) أو مرتزق ، كما بلغت المساعدات العينيّة زهاء 15 إلى 20 مليون دولار².

حرب 1967

ذكر السّادات أنّ خطّة حرب 1967 رسمت في وزارة الدّفاع الأمريكيّة ، و أنّ جوهر نجاحها كان في الإلتزام التّام للصّهيانية بتطبيق الخطّة بحذافيرها كما رسمها الأمريكيّون ، و التي كان مضمونها (أن تبدأ إسرائيل بالعمليات العسكريّة الجويّة ، و أنّ القوى التي وضعت لمساندة إسرائيل كفيلة بإنهاء المعركة خلال أربعة أيّام)³ ، و أنّ الإلتفاق كان يقضي بأن تتكفّل حاملات الطّائرات الأمريكيّة بحماية الأجواء الإسرائيليّة ، و تتفرّغ كل القوى للهجوم .

¹ - قانون الحياد : ينصّ على ((أنّ أيّ مواطن أمريكي يقبل و يمارس وظيفة ضابط في خدمة بلد أجنبي في حالة حرب مع بلد آخر في حالة سلام مع الولايات المتّحدة الأمريكيّة سيكون عرضة لغرامة لا تتجاوز ألفي دولار ، أو لحبس لا تتجاوز مدّته ثلاثة أعوام ، أو لكلا الأمرين معا)) .

² - الدّور الأمريكي في الحروب العربيّة الإسرائيليّة ص45 .

³ - الدّور الأمريكي في الحروب العربيّة الإسرائيليّة مرجع سابق، ص 119.

كما كان للمخابرات الأمريكية مساهمة فعّالة في حرب جوان 1967 عبر دعم إسرائيل في مجالات عديدة منها العمل الاستخباراتي الذي كان يفصل المعركة و ساهم بشكل كبير في رسم و توجيه العمليات العسكرية و التي مكّنت الكيان الصهيوني من توجيه ضرباته بسهولة للأهداف المصرية و السورية و الأردنية دفعة واحدة و بدقّة شديدة ، و دليل ذلك أنّه أثناء العمليات الحربيّة كانت الطائرات المصريّة - رغم بعدها عن مجال كشف الرادار الصهيوني - يتمّ استهدافها و إسقاطها، و هو مؤثّر على الدور الذي كانت تقوم به الولايات المتّحدة الأمريكيّة عبر راداراتها الجديدة كلّها ، حيث أنّها الدّولة الوحيدة التي تمتلك مثل هذه الأجهزة المتطوّرة في ذلك الوقت .

أرسلت أمريكا سفينة التّجسس "ليبرتي" بعيد إندلاع الحرب كانت مهمّتها مراقبة مجريات الحرب على جميع الجهات بما فيها مراقبة تحركات الجيش الصهيوني و متابعة مدى التزامه بالخطة المحدّدة سلفا مع الحليف الإستراتيجي أمريكا ، إلّا أنّها تعرّضت في 8 جوان إلى القصف من طرف الجيش الإسرائيلي ، مما أوقع فيها 31 قتيلًا و أكثر من 54 جريحًا¹.

كان هذا القصف مقصودا من الجيش الصهيوني بغية تضليل الحليف الأمريكي عن سير العمليات على الجهات و مع ذلك تمّت التّغطية عن الحدث حفاظا على العلاقات المشتركة ، كما قامت الولايات المتّحدة الأمريكيّة بالتّشويش على سلاح الإشارة للجيش العربيّة ممّا أفقدها التّسيق الذي تتطلّبه الحروب ، فكانت إحدى العوامل الأساسيّة للنكسة إلى جانب عامل المفاجأة الكارثي.

حرب 1973

لما انفجرت الحرب العربيّة -الإسرائيليّة في 6 أكتوبر 1973 قامت الولايات المتّحدة على الفور بتشكيل "مجموعة العمل الخاصّة" برئاسة مستشار الرّئيس نيكسون للأمن القومي و وزير الخارجيّة في الوقت نفسه هنري كيسنجر* ، و هوّ إجراء يعادل إنشاء خليّة أزمة في حالات الطّوارئ ، و تمّ تبليغ أعضاء المجموعة أمر الرّئيس بتحريك الأسطول الأمريكي إلى الجهة الشرقيّة للمتوسّط قرب جزيرة كريت، لكنّ المساعدات الملموسة لإسرائيل بدأت بالتّدفق

¹ - الدور الأمريكي في الحروب العربيّة الإسرائيليّة ، ص 125.

قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء جسر جوي حمل 28 ألف طن من المعدات والأسلحة الحديثة في بداية الحرب ، ثم تبعه آخر نقل أكثر من 33 ألف طن من الأسلحة أيضا و المعدات اللوجيستية الأمر الذي ساهم في صمود إسرائيل في الحرب، و كانت الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بتقديم المساعدات لإسرائيل حتى تشجعها على إبرام إتفاقيات سلام مع الدول العربية ، مثل اتفاقية 1979 في عهد الرئيس الأمريكي جيمي كارتر التي جاءت في أعقاب إتفاقية السلام مع مصر "كامب ديفيد" ، و توالى الدعم العسكري في العهود اللاحقة مع توالى الرؤساء على الإدارة الأمريكية ، الذين تسابقوا في إظهار الإلتزام بدعم و مساندة الكيان الصهيوني المتصاعد القوة ، حتى أصبح الجيش الإسرائيلي اليوم أحد أكثر الجيوش تقدما من حيث الترسانة المتنوعة و التكنولوجيا المتقدمة.

المطلب الثالث : إضعاف العرب و تقوية اسرائيل

لقد بدأت قصة إضعاف العرب و ضمان بقاء تفوق إسرائيل من خلال إتفاقية عام 1950 ، تلك الإتفاقية التي لا يزال مضمونها ساري المفعول إلى الآن ، بل جري تطويرها و ترقيتها لدرجة أن ذلك الكيان السياسي الشاذ ، تمكّن من حيازة السلاح النووي قبل مرور أقل من عشرين سنة من ظهوره على المسرح العالمي ، رغم أن حكومات و أنظمة عديدة فشلت في ذلك ، و الواضح من ذلك أنه تمّ بتواطأ و غض طرف الغرب و على رأسه الولايات المتحدة الأمريكية .

و بعد توقيع إتفاقية "كامب ديفيد" التي حوت بنودها على تقديم مساعدات لمصر ، تضاعفت المساعدات العسكرية و الإقتصادية على إسرائيل بشكل لا يقارن بتاتا مع ما تحصل عليه مصر ، فأصبح بإمكان الصهاينة اكتساب أرقى الأسلحة المتطورة و آخر ما جادت به المصانع الأمريكية ، و بعد أن وقّعت الأردن إتفاقية تطبيع العلاقات مع إسرائيل برعاية أمريكية و المسماة "وادي عربة" عام 1994 ، أضحت بإمكانها الحصول على مثل تلك المساعدات، كما حصلت السلطة الفلسطينية على بعض المساعدات بعد إتفاق "أوسلو" و إن كانت في شكل أسلحة بسيطة و معدّات تستعمل غالبا في قمع نشاط الشبان الفلسطينيين المناوئين للإحتلال الإسرائيلي في أراضي السلطة الفلسطينية و التي سمّيت جزافا "إلتزامات أمنية".

تبلغ قيمة المساعدات الأمريكية لدول المنطقة نحو 6.5 مليار دولار سنويًا ، تحصل منها إسرائيل علو أكثر من النصف أي 3.3 مليار دولار ، و تحصل مصر على 1.4 مليار دولار و الأردن على 1.3 مليار دولار و

باقي 600 مليون دولار موزعة على باقي الدول من بينها السلطة الفلسطينية ، و مما لا شك فيه أنّ هذه الأرقام هي قيمة المساعدات المعلنة فقط ، أمّا ما يجري تحت الطاولة بين أمريكا و إسرائيل فهو يفوق كل التقديرات و التوقعات بكثير ، لدرجة أنّ تقريراً سُرّب مؤخراً كشف عن أرقام مهولة لقيمة هذه المساعدات شكّل صدمة في الأوساط الأمريكية و جلب ردود أفعال صاخبة ندّدت بضخامة المساعدات المبالغ فيها على حساب دافعي الضرائب الأمريكيين.

- المبحث الرابع: الرعاية الإقتصادية

المطلب الأول المساعدات و المنح :

من الواضح أنّ كياناً سياسياً غريباً يفتقر إلى مقومات الوجود الطبيعي، لا يمكنه بناء إقتصاد متين و ثابت لعقود طويلة ،بحقّق لأفراده الإكتفاء و الرفاه و الدّخل العالي ، إلّا في حالة الكيان الصهيوني ، ذلك الكيان الذي أخذت الدول الرأسمالية - و في طليعتها أمريكا - على عاتقها مهمّة تمويله بأي شكل من الأشكال ، عبر القروض و الإستثمارات، و من خلال تنويع التبادلات التجارية ، وبالمساعدات و المنح ، جميع هذه الأشكال دفعة واحدة .

لقد ساهم تدفق رؤوس الأموال على الإقتصاد الإسرائيلي في حدوث طفرة نمو سريعة¹ ، جعلت نصيب الفرد من الدّخل الإجمالي ، من أعلى معدّلات الدّخل في المنطقة و العالم برّمته².

يسيطر القطاع العام على جزء كبير من الأنشطة الإقتصادية المحليّة ، بما فيها ما يتّصل بالتأثيرات ذات الطّابع السّياسي ، من قبيل التّموليلات الموجهة لمشروعات الهجرة و العمالة الأجنبية و التّوطين وغيرها ، هذه المشروعات كانت في الأساس لمجابهة قرارات الدول العربيّة بمقاطعة إسرائيل و عزلها إقتصادياً و لتشجيع الهجرة إليها ، ثمّ تطوّرت إلى عقد إتفاقيات تجارية و إنشاء منطقة للتجارة الحرة³ ، وإبرام عقود التجارة الثنائية ، تطيل

1-

2-

3-

هذه الإجراءات نفس هذا الكيان الغاصب و تنفخ في جسده المهجين أنفاس البقاء ، على الأقل في الوقت الحاضر و على المدى القصير.

منذ تأسيس الكيان الصهيوني عام 1948 حتى العام 1989 ، بلغ حجم المساعدات الرسمية الأمريكية أكثر من 46 مليار دولار¹،

و خلال العقود الماضية حصلت إسرائيل على أكبر حصّة للمساعدات الخارجية الأمريكية من بين قائمة الدول المشمولة بالمساعدات ، و بآلية لا تشبه أيّ دولة ، و ذلك أنّ الخزنة الأمريكية تصبّ هذه المساعدات بصورة مباشرة في حساب حكومة الكيان الصهيوني مطلع السنة المالية دون تجزئة ، على خلاف المعمول به عادة من صب هذه المساعدات في حسابات الهيئات المعنية بالدعم بعيداً عن تدخل الدول و على أربع دفعات².

لقد بلغت قيمة المساعدات الأمريكية لإسرائيل في الفترة 1985 إلى 1989 فقط ما مجموعه 16.169 مليار دولار ، منها 8.5 على شكل مساعدات عسكرية ، و 7.4 منح إقتصادية ، وخلال هذه المرحلة بدأت المساعدات الأمريكية تستقرّ في حدود 3.6 مليار دولار سنوياً ، توجّه أغلبها لدعم توطین المهاجرين و القطاع الصحي و التعليم.

و شهدت المرحلة اللاحقة 1990 حتى 2001 ، في ظل المتغيّرات السياسيّة بتفكك المعسكر الشيوعي و زوال الإتحاد السوفيّاتي و حرب الخليج الثانية ، و نتائج مفاوضات "السلام" العربيّة الإسرائيليّة (مدريد- أوسلو) ، تدفّق أعداد كبيرة للمهاجرين اليهود القادمين من الإتحاد السوفيّاتي السابق ، الأمر الذي شجّع إسرائيل على طلب مساعدات إضافية للقيام بأعباء استقبال هؤلاء المهاجرين من بناء للمستوطنات ، إلى إنشاء بنية تحتية ، إلى إقامة مشاريع متعلّقة بتشغيل هؤلاء .

قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم قرض أولي بنحو 400 مليون دولار لتغطية هذه الأعباء، كما قدّمت ضمانات للبنوك الأمريكية على قروض لفائدة إسرائيل من أجل تعزيز الثقة، بلغت قيمتها 10 مليارات دولار ، كما وافق الكونغرس على طلب للرئيس الأمريكي "بيل كلينتون" بمنح مساعدة سنوية ثابتة بقيمة 2 مليار دولار لمدة 5 سنوات، و أخذت هذه المساعدات في الزيادة خارج المجال العسكري ، عبر إتفاقية ثنائية عام 1998 حملت إسم "واي بلانتيشن" ، حصلت بموجبها إسرائيل في نفس العام على ما قيمته 1 مليار و 200 مليون دولار في شكل مساعدات إقتصادية ، بالإضافة إلى 1 مليار و 860 مليون دولار مساعدات عسكرية .

1 - ربيع محمّد عبد العزيز : مرجع سابق، ص 103.

2 - ربيع محمّد عبد العزيز : مرجع سابق، ص 176.

و مع مطلع الألفية الجديدة حصلت إسرائيل على أكثر من 4.12 مليار دولار مساعدات متنوعة ، كما اتخذت سلطة الكيان الصهيوني الإنتفاضة الفلسطينية ذريعة لطلب مزيد من المساعدات و حصلت بذلك على نحو 7 مليار دولار منح لا ترد ، و جاءت فترة الرئيس الأمريكي "باراك أوباما" ، لتغدق على الصّهاينة بما يفوق 38 مليار دولار مساعدات و منح وفق جدول زمني يمتد 10 سنوات ، لتكون أكبر حزمة مساعدات في تاريخ العلاقات الإقتصادية بين الولايات المتّحدة و الكيان الصهيوني .

في تقرير لها وُصف "بالمذهل" نُشر في الموقع الإلكتروني لوكالة الإستخبارات المركزية الأمريكية بتاريخ 21 فيفري 2005 ، كشفت صحيفة "كريتسان ساينس مينيتور" ، بأنّ القيمة الإجمالية للأموال الأمريكية التي تلقتها إسرائيل منذ 1973 بلغت 1600 مليار دولار ، و قال صاحب التقرير الخبير الإقتصادي "توماس ستوفار" أنّ هذا الرّقم يشمل مجموع المنح و المساعدات و القروض ، لازال بعضها ديوناً قد لا يتمّ سدادها، و هو رقم يمثّل ضعف تكلفة حرب الفيتنام¹.

كما جاء في التّقرير على لسان الخبير الإقتصادي ، أنّ المساعدات المقدّرة بأكثر من 3 مليار دولار سنوياً لإسرائيل ، تمثّل في الحقيقة الرّقم المعلن فقط للمواطنين الأمريكيّين لتبرير مساهمتهم في خدمة الديمقراطيّة و تعزيز المصالح الإستراتيجيةّ لأمريكا في المنطقة ، لكنّ الحقيقة أكبر من ذلك بكثير ، و ضرب مثلاً بحرب 1973 ، التي استخدم فيها العرب سلاح النّفط ، حيث قدّمت أمريكا مساعدات عاجلة لإسرائيل لدعمها في الحرب التي أدّت إلى ركود اقتصادي كلّّف الخزينة الأمريكيّة 420 مليار دولار ، إضافة لـ 450 مليار دولار تمثّل فارق الزيادة في أسعار النّفط ، زيادة على مبلغ 134 مليار دولار تكلفة إقامة الخزان الإستراتيجي لمواجهة نفاذ النّفط مستقبلاً².

إنّ هذه الأرقام المرعبة للأموال المرصودة لإبقاء الكيان الصهيوني المهجين واقفاً على رجليه ، لا تشكّل مفاجأة لدى الأوساط العربيّة ، التي ترى بأنّ عينها العنجهيّة الصهيونيّة تتماهى كلّ يوم في إقامة المشاريع الإستيطانيّة ، كبناء المستوطنات و مدّ الجسور و شق الطّرق و حفر الأنفاق ، و بناء الجدران العازلة و منظومات الدّفاع المضادّة للصّواريخ المتطوّرة مثل "القبة الصّاروخية" ، ناهيك عن الإنفاق العسكري الإعتيادي ، لكنّها ليست كذلك بالنسبة للرأي العام الغربي على العموم ، و للمحلّلين الإقتصاديّين على وجه التّحديد، لدرجة أنّ كاتب التّقرير أشار إلى أنّه استقى أرقامه من عدد من المسؤولين العسكريّين و الدبلوماسيّين السّابقين ، الذين عملوا في مصالح أمريكيّة سهرت على إنجاز هذه العقود الماليّة و الذين فضّلوا عدم نشر أسماءهم خوفاً من

¹ - https://www.cia.gov/library/abbottabad-compound/98/98712DA82C6B0C8D2_DC580DBE19E25AD _تقرير أمريكي_ مذهب_عن_دعم أمريكا_لإسرائيل.pdf

² - نفس المرجع .

اتهمهم بـ "معاداة السامية" ، تلك الوسيلة "الحضارية" التي استحدثتها الغرب لتكميم أفواه كل من يجرأ على كشف خبايا و فضائح الحركة الصهيونية.

المطلب الثاني - المبادلات التجارية :

لا يمكننا بأي حال من الأحوال حصر جميع الأنشطة الاقتصادية و المبادلات التجارية، التي ميّزت تاريخ العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية و الكيان الصهيوني منذ نشأته عام 1948 إلى اليوم ، ولذلك نكتفي بحصر عينة حديثة و متاحة إعلاميًا لمؤشرات التجارة البينية ، و ذلك للإستدلال على الصلة الوثيقة للإقتصاد الإسرائيلي القائم أساسًا على مساهمة الخزانة و البنوك الأمريكية بصفة مباشرة.

بلغت قيمة المبادلات التجارية الأمريكية مع إسرائيل خلال عام واحد فقط (2010) ، 40 مليار دولار مع عجز تجاري بـ 10 مليار دولار، أمّا في العام الموالي (2011) فقد بلغت قيمة المبادلات 37 مليار دولار بعجز 9 مليار دولار، تعكس هذه الأرقام الحديثة تطوّر المبادلات التجارية التي قفزت بما نسبته 53.6 % عن قيمة المبادلات لسنة 1985¹.

أصبحت السوق الإسرائيلية أكبر وجهة للصادرات الأمريكية سنة 2012 ، و تنوّعت السلع بين الأحجار الكريمة و الآلات الكهربائية ، و المعادن و الطائرات و الآلات البصرية و المنتجات الزراعية وغيرها ، كما أصبحت إسرائيل أكبر مورّد للسلع و البضائع الأمريكية سنة 2011 بنحو 23 سلعة.

في المقابل بلغت نسبة الواردات الأمريكية من إسرائيل في نفس العام 2011 ، نسبة 1% من مجموع الواردات الأمريكية العامة ، كانت أكثر الواردات الخمس الألباس و المنتجات الصيدلانية والآلات الكهربائية و الآلات البصرية و الطبية و المعادن.

لقد كان اعتماد الكيان الصهيوني على مصادر الإعانة الخارجية قبل 1948 ، يقوم على جمع تبرّعات المنظمات اليهودية في أوروبا و أمريكا، و خلال عقدي الخمسينات و الستينات تدفّقت معونات الحكومة الألمانية إلى جانب استمرار تبرّعات الجمعيات اليهودية²، غير أنّه في العقدين المواليين - السبعينات و الثمانينات - اعتمدت الحكومة الصهيونية على المعونات الأمريكية اعتمادًا شبه كلي ، من أجل بعث التنمية و تحقيق الإستقرار في النمو عبر خفض معدّل البطالة و المحافظة على هامش بسيط في عجز الميزان التجاري.

1 -

2 - ربيع محمد عبد العزيز : المعونات الأمريكية لإسرائيل ، مرجع سابق ، ص

ساهمت تلك المساعدات في تشجيع إسرائيل على زعزعة استقرار المنطقة بجملة من الأعمال العدوانية مثل غزو جنوب لبنان عام 1978 و احتلال بيروت 1982 ، و تدمير المفاعل النووي العراقي سنة 1981 و ضم الجولان في نفس العام ، و تدمير مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس سنة 1985¹.

المطلب الثالث : - إتفاقية التجارة الحرة :

قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتوقيع إتفاقية التجارة الحرة مع إسرائيل و بدأ العمل بينها في 19 أوت 1985 ، و اعتُبر ذلك تطورا لافتا في مجال ترقية العلاقات الإقتصادية بين الطرفين ، و نصّت على إلغاء كل الرسوم الجمركية و إزالة كل الحواجز غير الجمركية على النشاط التجاري بين الجانبين في مدّة لا تتجاوز 10 سنوات، كما حوت بنودها على ترخيص يسمح بتمديد العمل بها لما بعد المدّة المذكورة .

سمحت هذه الإتفاقية للشركات و المؤسسات الإسرائيلية بتصدير المنتجات المحلية إلى السوق الأمريكية دون أدنى عناء، في مقابل لا يمكن للشركات الأمريكية تصدير منتجاتها إلى الأسواق الإسرائيلية دون موافقة الجهات المحلية مسبقا ، هذه المعادلة الغريبة عبّر عنها أحد الإقتصاديين الأمريكيين بقوله ((أنّها تمنح إسرائيل قدرة غير محدّدة على دخول السوق الأمريكية التي يبلغ حجمها 2000 مليار دولار ن بينما تحدّد قدرة أمريكا على دخول السوق الإسرائيلية التي لا يزيد حجمها على 1% من حجم السوق الأمريكية))².

كما أنّ هذه الإتفاقية تمنح لشركات صناعة الأسلحة الإسرائيلية المملوكة في أغلبها للحكومة نفس الفرص التي تمنحها للشركات الأمريكية في نفس المجال ،بينما تنص المادة (11) على حرّى فرض أو رفع قيمة الضرائب من الجانب الإسرائيلي على الواردات الأمريكية إذا رأت أنّ ذلك يشكل تهديدا على ميزانها التجاري .

¹ - ربيع محمّد عبد العزيز : المعونات الأمريكية لإسرائيل ،مرجع سابق ص 96.

² - ربيع محمّد عبد العزيز : المعونات الأمريكية لإسرائيل ، مرجع سابق ،ص 181.

و لاقت طبيعة هذه البنود المححنة و غير العادلة و غير المعتادة في تاريخ الإتفاقيات الإقتصادية معارضة معظم الإتحادات العمالية و كذا جمعيات المنتجين في الولايات المتحدة الأمريكية لدرجة أن ستانلي نيمر المتحدث باسم تحالف منتجي الملابس و المنسوجات وصفها بأنها (كارثة بلا حدود)¹.



¹ - ربيع محمد عبد العزيز : نفس المرجع ، ص182.

الفصل الثالث

- المبحث الأول: شعار قومية المعركة و ضياع فلسطين

المطلب الأول: خيانة الحكام العرب

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

اندلعت الحرب العربيّة-الإسرائيليّة الأولى بين تسعة جيوش عربيّة من دول عربيّة عديدة هي مصر وشرق الأردن (الأردن حاليًا) والعراق وسوريا ولبنان و بعض السّرايا من السعودية و السودان واليمن، ضدّ ميليشيات صهيونيّة مسلّحة مدعومة من الغرب ، كانت نتيجة هذه الحرب هزيمة العرب هزيمة مُنكرة، و نصرا للصّهاينة أرسوا به دعائم الدّولة اليهوديّة الموعودة .

إنّ الغضب الشّعبي العربي الذي تلا قيام دولة الكيان الصّهيوني ، لم يتم استغلاله إيجابيًا، بحيث يتمّ توجيهه لدعم جهود القتال ، بل جرى هدر هذه الطّاقة عبر إصرار الأنظمة العربيّة على إرسال الجيوش النّظاميّة المفرغة من أيّ روح لمحاربة العصابات الصّهيونيّة ، مع أنّه من الواضح أنّ طبيعة حرب من هذا النّوع تستلزم الدّفع بالفرق و الميليشيات التي تعتمد على حرب العصابات ذات الجدوى.

إنّ هذا التّكتيك في استخدام الجيوش النّظاميّة في الحرب ، لم يكن بريئًا أبدًا و لا جادًا حتّى ،فهو لم يكن بريئًا لأنّ الأنظمة و الحكومات التي كانت تحكم العرب أيّام الحرب، لم تكن سوى أنظمة عميلة كما هو الحال مثلاً للأردن و السّعوديّة الذين يأتّمران بأوامر بريطانيا ، و لا يمكنهما رفض أيّ طلبات لها فضلًا عن الأوامر، فهي أساسًا صناعة بريطانيّة ، أو محتلّة كمصر التي يحرس جنود بريطانيون قصر ملكهم فاروق ، و لم تكن سوريا و العراق و لبنان تملك سلطة قرارها السّياسي المطلق بيدها ، بينما لازال الإستعمار الغربي جاثمًا على بقية البلدان العربيّة ، و لذلك فهي تخشى من سطوة القوى الشّعبيّة إذا ما تعاضم شأنها في الحرب، و لهذا سارعت للتخلّص منها ، أو — على الأقل — دمجها في الجيوش النّظاميّة لتكون تحت جناحها ، قبل أن تتحوّل ضدها و تهدّد عروشها، خاصّة في ظل تنامي الوعي السّياسي في البلاد العربيّة بعد نهاية الحرب العالميّة الثّانية.

و لم تكن مشاركة الجيوش العربيّة جادّة أيضًا ، فقد كانت مدفوعة فقط بحالة الغضب الشّعبي الذي اجتاحت العرب تلك الأيّام، و يمكننا التماس عدم الجدّيّة في عديد النّقاط منها :

- كان عدد أفراد الجيوش العربيّة مجتمعة أقل بكثير من أعداد العصابات الصّهيونيّة ، و هذا ليس لنقص في العنصر البشري و لكنّه يظهر نية الأنظمة و الحكومات العربيّة في مشاركة رمزيّة في الحرب .

- كان تسليح هذه الجيوش متوسّطًا لكنّه مقبولًا في بداية الحرب ، فقد حوى عددًا قليلًا جدّا من الطّائرات والدّبابات و العتاد الحربي ، فقد شاركت مصر بت 10 آلاف جندي بقيادة اللّواء أحمد علي الماوي ، ثمّ تضاعف هذا العدد مع بداية الحرب ليبلغ نحو 20 ألف جندي موزعين على 5 ألوية مشاة ، و لواء آلي واحد و لواء مدفعية عيار 25 ، و لواء مجهّز بـ 8 مدافع عيار 6 ، و لواء مجهّز بمدفع آلي متوسّط ، و استعملت طائرات

النقل كقاذفات قنابل ، و منها تم تشكيل سرب من الطائرات مضاف إليها بعض الطائرات الأمريكية من نوع "الكوماند" من بقايا الحرب العالمية الثانية ، فيما تألف الجيش الأردني من 4 أفواج بها 8 آلاف جندي ثم 12 آلاف خلال الحرب ، بقيادة الجنرال البريطاني "غلوب باشا" و اتخذ من مدينة الزرقاء قاعدة له ، و قيادة ميدانية قاعدتها نابلس تحت إمرة البريطاني العميد "نورمان لانش" ، إضافة لبطاريتي مدافع عيار 25 بريطانية ، و شاركت العراق بداية الحرب بـ 3 آلاف جندي ثم وصل العدد إلى نحو 15 ألف في الحرب بقيادة العميد محمد الزبيدي ، و سوريا بألفي جندي بلغ عددهم 5 آلاف لاحقاً بقيادة العقيد عبد الوهاب الحكيم ، أما لبنان فقد حشد كتيبي مشاة و فصيل مدفعية هاون و مدافع رشاشة و بطارية مدفعية ميدان ، بالإضافة إلى 4 عربات مدرعة و 4 دبابات خفيفة بقيادة العميد فؤاد شهاب ، أما السعودية فقد أرسلت نحو 3200 جنديتحت قيادة العقيد سعيد بك الكردي .

في المقابل كانت الترسانة الصهيونية متزايدة باطراد، ما فتئت أن تعاضمت أيام الهدنة المتتالية ، حيث فاقت أعداد منظمة "الهاجاناه" - أبرز العصابات الصهيونية - نهاية 1947 أي قبل الحرب 45 ألف فرد ، و ارتفعت إلى نحو 107 آلاف فرد بعد اندلاع الحرب و انضمام المتطوعين ، ناهيك عن أعداد بقية المنظمات الصهيونية : "الأرغون" و "الشترين" و "البلماخ" ، كما تم توريد أسلحة ثقيلة خاصة الطائرات والدبابات الحديثة التي قلبت موازين الحرب في أسابيع قليلة ، بعد أن كبّدت العرب خسائر معتبرة في الأرواح و العتاد ، اضطرّ على إثرها العرب قبول الهدنة ، و التي كانت - بالنسبة للقادة السياسيين - طوق النجاة و رصاصة الرحمة التي اتخذوها ذريعة أمام شعوبهم.

- كان التمويل العربي للحرب واحدة من نقاط الضعف التي أثّرت في سير الحرب بصورة مباشرة ، فالميزانية التي تم رصدتها لم تكن تلبي احتياجات الجيوش العربية الأساسية ، في سبتمبر 1947 تشكلت اللجنة العسكرية الفنية لتقييم الوضع العسكري بناءً على التطورات الميدانية التي كانت تنذر بالحرب ، وبعد صدور قرار التقسيم في 29 نوفمبر جاء التنديد العربي بالقرار و اعتباره غير قانوني ، و الأسبوع الثاني من شهر ديسمبر الموالي أنشأت الدول العربية صندوقاً لتمويل الحرب بمبلغ 1 مليون جنيه استرليني.

- عدم وحدة القرار السياسي العربي و تشتته و لد حالة من التناقض و التضارب في المواقف ، فقد كان الملك الأردني عبد الله بن الحسين يفاوض باسم العرب ، متبنياً الملف الفلسطيني ، في الوقت الذي كانت فيه دول

عربيّة أخرى تفتح قنوات اتّصال كمصر و العراق و السّعوديّة و سوريا تدلي بدلوها في القضية بما يوافق مصالحها دون العودة للإجماع العربي.

- ميّز الفتور العمل السّياسي العربي و لم يكن السّاسة العرب بمستوى الحدث إطلاقاً ، إذ في الوقت الذي كانت الأمم المتّحدة تصدر القرارات التي تربك سير العمليّات العسكريّة لصالح العرب، كقرارات الهدنة و منع توريد السّلاح ، تخاذل الحكّام العرب تاركين الجبل على الغارب و هم يرون الإجراءات الأُمّية تنحو ناحية الصّهيانية ، مكتفين بالتّنديد و الإدانة و الشّجب.

إنّ حرباً من أجل قضية بين أنظمة تفكّر في بقاء عروشها ضدّ عدو يرتكز على أسس عقائديّة وجوديّة، لهي حرب غير متكافئة البتّة ، لا يمكن أبداً - و التّاريخ مرجعاً - أن تنتصر عقيدة المصالح على عقيدة المبادئ ، ذلك ما يمكن وصفه إذا ما اختزلنا ما جرى في فلسطين في جملة واحدة .

المطلب الثاني: قيادة بريطانيّة و جيوش عربيّة لتحرير فلسطين

مما لاشكّ فيه أنّ ضياع فلسطين ، نكبة أصابت الأُمّة الإسلاميّة و العربيّة في مقتل ، و لزال هؤلاء لم يستوعبوا -بعد- صدمة هذه الخسارة إلى اليوم ، و -طبعاً- أدّت جملة من الأسباب والظّروف مجتمعة إلى ما حصل ، منها ضعف العالم العربي و الإسلامي - آنئذ - ، و حالة التشرذم و الإنحطاط التي سادت المنطقة ، في غياب قوّة سياسيّة إقليميّة حامية ، بعد سقوط الدّولة العثمانيّة، و معاناة أغلب البلدان العربيّة و الإسلاميّة تحت وطأة الإستعمار الأوروبي الحاقد ، ثمّ لتأمر كبرى دول العالم الغربي مع مشروع الحركة الصّهيونيّة العالميّة ، و زوال الخطر النّازي و اندحاره في الحرب العالميّة الثّانية .

كما أنّ هناك عاملاً حاسماً إضافياً أسهم - إلى جانب العوامل السّابقة - في الإختيار السّياسي والعسكري للعرب في الصّراع ممثلاً في حالة التّخاذل و الإستكانة التي طبعت تصرّف العرب -وبالأخصّ الأنظمة الحاكمة- ، و التي لا يمكن نعتها بأقل من نعوت الخزي والتّأمر و البلادة وغياب المسؤوليّة ، يكفي لتحسّس مدى تجدّر ذلك الخزي في التّعامل مع قضية أساسيّة ومركزيّة في تاريخ الأُمّة، أن تُسند قيادة جيوش العرب لقائد بريطاني ، هو "جون باغوت غلوب" المعروف بـ "الجنرال غلوب باشا" ، قائد الجيش "العربي" الأردني، بين 1939 و 1956

، و القائد العام للجيش العربي خلال الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى 1948 ، كما ضمّ الجيش "العربي" العديد من الضباط البريطانيين أمثال العميد "نورمان لانز" بلغ عددهم نحو 50 ضابطاً .

بعد دخول الجيوش العربية لفلسطين بداية الحرب، غداة إنهاء الإنتداب البريطاني في فلسطين شهر ماي 1948، كان من أوائل القرارات التي صدرت عن الملك "عبد الله بن الحسين"*** ملك الأردن - بتدبير و مباركة من قائد جيشه البريطاني "غلوب باش" - ذلك القرار الكارثي المتعلق بإلغاء منظمة الجهاد المقدس¹، و حل كامل فصائل المتطوعين العرب والمسلمين تحت مسمى "جيش الإنقاذ"***، كما طلب إلغاء الهيئة العربية العليا لفلسطين²***، حل هذه التنظيمات كان بحجة فسخ المجال للجيوش العربية النظامية لمباشرة القتال على الجبهات ، بأسلوب حديث بعيدا عن الفوضوية الشعبية .

إنّ تعيين جنرال بريطاني على رأس تحالف جيوش عربية ، لمحاربة عدو ذي إيديولوجية إستراتيجية حاكمة، في حرب وجودية ، يتعلّق بمدى عمق الولاء للقيم الإنسانية و الدينية و القومية التي تمثلها فلسطين في وجدان العرب و المسلمين ، أو - بعبارة أخرى - بمدى إيمانه بعدالة القضية الفلسطينية كقضية ظلم واضطهاد و تأمر على شعب أعزل ، و مستوى الغيرة و الإلتزام للدفاع عن هذا الشعب .

هذا بالضبط جوهر الإستغراب من تعيين " غلوب باشا " على رأس الإدارة الميدانية لجيوش العرب ، يضاف إلى هذا ، أنّ سجلّه العسكري العادي ، لا يمنحه أي حظوة لدى المدافعين عنه فضلا عن منتقديه ، فقد كانت مشاركته غير لامعة في الحرب العالمية الأولى برتبة بسيطة ، و كذلك في الحرب العالمية الثانية ، و أقصى شرف يفاخر به ، أنّه شارك إلى جانب الجنرال " ديغول " ضد جيوش حكومة فيشي الموالية للنّازية عام 1942 بتوجيه بريطاني ، بريطانيا ذاتها التي زجّت بفيلق يهودي خالص ، على جبهات القتال ضد الجيوش الألمانية في

* - الجنرال غلوب باشا

1 - الموسوعة الفلسطينية: ص 328.

*** - منظمة الجهاد المقدس : هي حركة عسكرية سرية بقيادة البطل الفلسطيني الشهيد " عبد القادر الحسيني " ، قائد معركة القسطل الشهيرة ضد العصابات الصهيونية ، قامت هذه المنظمة بتنظيم ثورات عديدة ضد سياسة الإنتداب البريطاني المتآمر مع الصّهيانية ، خاصة خلال الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى 1947-1948 ، أنظر الموسوعة الفلسطينية ص 169.

2 - الحسيني الحاج أمين : أسباب كارثة فلسطين ، أسرار مجهولة و وثائق خطيرة ، تقديم هشام عوض ، دار الفضيلة للنشر و التوزيع و التصدير ، القاهرة ، 2002 ، ص 34.

تابع --- * - تمّ تشكيل ((جيش الإنقاذ)) من قبل اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية ، و ضمّ متطوعين من جنسيات مختلفة إلى جانب الفلسطينيين : لبنانيين ، أردنيين ، مصريين ، سعوديين ، يمنيين ، و عدد من من الأتراك واليوغسلاف و الألمان و الإنجليز ، كان هذا التنظيم تحت قيادة عمّة للواء العراقي "طه الهاشمي" ، و قيادة عسكرية ميدانية للبناني "فوزي الفاوقجي"

الحرب العالمية الأولى، في الصّفقة الشّهيرة التي انتهت بانتزاع وعد بلفور، الأمر الذي مكن الصّهانية من اكتساب خبرات عسكريّة كبيرة و معارف حديثة في استعمال أحدث الأسلحة و الخطط الحربيّة ، كانت نواة للعصابات الصّهيوّية التي مارست القتل و التّهجير القسري للفلسطينيّين ، بين الحربين العالميتين ، بالتّواطؤ مع سلطة الإنتداب البريطاني ، تمهيدا لبسط سيطرة اليهود و إقامة الدّولة الصّهيوّية .

ثمّ قام رئيس وزراء بريطانيا "وينستون تشرشل"* بإعادة تأليف الفيلق اليهودي من جديد عام 1943¹، رغم اعتراض المارشال "ويفل" قائد القوّات البريطانيّة في مصر و الشّرق الأوسط ، من تداعيات ذلك على شعور العرب ، شارك هذا الفيلق سنة 1944 ضمن الجيش البريطاني ، في الحملة على إيطاليا ، و بعد نهاية الحرب عاد جنود ذلك الفيلق إلى فلسطين مع أسلحتهم الخفيفة .

إنّ الدّارس للتّفاصيل الدّقيقة لوقائع الحرب العربيّة-الإسرائيليّة الأولى 1947-1948، لا يمكنه أن يضمّر حقدا شخصيّا للجنرال "غلوب باشا" ، بقدر ما يضمّره لقادة الحكومات و الأنظمة العربيّة التي فوّضته أمر فلسطين ، و على رأس هؤلاء جميعا ثلاثة ملوك هم : "الملك عبد الله بن الحسين" ملك الأردن ، "الملك فاروق" ملك مصر ، "الملك عبد العزيز آل سعود" ملك السّعوديّة ، و من وراءهم رؤساء حكومات و سياسة عرب و قادة جيوش ، سنتطرّف إلى بعضهم في المطلب الموالي .

رغم ذلك فالماخذ على منهج غلوب باشا في إدارة الحرب عديدة لا تحصى ، مثل:

- ولائه المطلق لرجال السّياسة المنهمكون في وزن قضيّة فلسطين بميزان الرّبح و الخسارة السّياسيّة الضّيقة، على حساب ما يجري على الأرض من مجازر و تقتيل وحشي للفلسطينيّين على يد الصّهانية² .

- إظهار الإلتزام التّام و التّطبيق الحرفي لقرارات الهيئة الأمميّة فيما يخص (إحترام) حدود خريطة التّقسيم وتواريخ الهدنة و قرارات المنع من توريد السّلاح و الذخيرة و الدّعم البشري و اللّوجيستكي ، رغم علمه المباشر بخرق جميع هذه القرارات من طرف الجيوش الصّهيوّية و بعلم و تغاضي مباشر من الدّول الكبرى في مجلس الأمن

¹ - الحسيني الحاج أمين :مرجع سابق ، ص-ص 71،72.

² - غلوب باشا : مذكّرات غلوب باشا : حياقي في المشرق العربي ، ت جورج حتّر ، فؤاد قياض ، ط1، الأهلية للنشر و التوزيع ، عمّان الأردن ، 2005، ص 230.

، بل و بدعم منها كما هو الحال بالنسبة للإتحاد السوفياتي لكن من الأراضي الشيكسلوفاكية¹ ، و بجسور جوية من أوروبا و أمريكا .

- القفز على جميع الوقائع الجارية على الأرض ، و تجاهل الحقائق التاريخية التي تنصف الشعب الفلسطيني في مشروعية الدفاع عن أرضه المغتصبة ، و قبوله بسعي الصهاينة لإنشاء دولة يهودية عليها.

- فشله في إقناع ساسة بلده بريطانيا، و عدم جديته في مطالبتهم لعب دور داعم للعرب والإيفاء بالوعود السابقة ، بل إنه ظلّ يدافع في مذكراته عن موقف بريطانيا السلي المتسّر بالتطبيق التام لقرارات مجلس الأمن²، و هي العضو المؤسس و صاحب حق الفيتو ، الذي بإمكانه لجم الصهاينة ووقف نشاطهم في جلب الأسلحة و المعدات الثقيلة الحديثة التي غلبت كفتهم في مواجهة الجيوش العربية .

- عدم حمايته للأجنيين الفلسطينيين و انسحابه من الكثير من الأراضي و المدن العربية لصالح الصهاينة ، و من أشهرها تضييعه لمدينتي اللد و الرملة الإستراتيجيتين ، و اللتين كان سقوطهما منعرجا حاسما في إحكام الصهاينة قبضتهم على قلب فلسطين ، و كان انسحاب الجيش العربي منها بأمر من غلوب باشا بحجة انكشاف ظهره بعد تراجع الجيش العراقي ، و خشية تطويقه و قطع خطوط الإمداد عليه من قبل عصابات الصهاينة .

- دعمه لقرارات الملك عبد الله بن الحسين في الكثير من القضايا الحاسمة التي أثّرت على مجرى الحرب ، مثل حثّه على إلغاء و حل تنظيمات المتطوعين و أوامر حظر و وقف المقاومات الشعبية ، والتي رغم قلة تسليحها و افتقارها للخطط العسكرية الاحترافية ، إلا أنّها كادت أن تقضي على الوجود الصهيوني في فلسطين ، و استطاعت استرجاع الكثير من المدن و البلدات و الأراضي العربية³.

- الدّخول في صراع مع تشكيلات الجيوش العربية و القدح في قادتها العسكريين ، و تحميل القيادة السياسية في بقية الدول العربية وحدها- و بالأخص مصر و سوريا- دون القيادة الأردنية ، مسؤولية ضياع الأراضي الفلسطينية⁴.

- طرحه لعدد من المبادرات التي تدلّ دلالة واضحة عن انفصاله عن مجريات الأحداث الجارية ، مثل اقتراحه إنشاء مراكز مشتركة مع الصهاينة، لمنع تسلّل الفلسطينيين إلى قراهم و بلداتهم السابقة التي طردوا منها قسرا ،

- 1

- 2

- 3

- 4

رُفِضَ هذا الإقتراح المخزي من طرف الصّهاينة¹، و كان طرحه بمثابة صك إظهار نزاهة القيادة الأردنيّة لا أكثر ، و لو قُدِّمَ من طرف جهة حياديّة لكان أهون ، لكن حتّى الأمم المتّحدة انحازت انحيازاً مفضوحاً ، بقي وصمة عار في تاريخ معالجتها للقضيّة الفلسطينيّة .

نحن لسنا بصدد محاكمة و محاسبة الجنرال "غلوب باشا" من خلال أخطائه و مواقفه ، و لا يمكننا حصرها هنا لو أردنا ، لأنّ أكبر المخازي التي تتجاوز أخطائه هي تعيينه في هذه المنصب ، و لكننا سقنا هذه التّقاط لنبيّن مدى استهتار الحكومات العربيّة ، و عدم جدّيّتها في الدّفاع عن الشّرف العربي في فلسطين.

المطلب الثالث : سوء إدارة الحروب

إنّ الحديث عن سوء إدارة العمليّات العسكريّة من طرف الجيوش العربيّة في حرب 1948 ، من خلال التّطرّق لبقية العناصر المتّصلة به ، مثل عدم وجود خطّة عسكريّة واضحة و مدروسة ، و غياب قيادة موحّدة للجيوش كافّة ، لها سلطة إصدار الأوامر وفق مقتضيات المعارك على الأرض ، و غياب غطاء سياسي عربي قوي داعم لمجريات الحرب ، و حالة الإنقسام في الصّف العربي بشأن طريقة مواجهة العدو الصّهيوني و غيرها من الأسباب التي خلصت إلى بناء وضع عربي ضعيف في ذلك الوقت ، هو في الحقيقة نتيجة طبيعيّة و حتميّة لما تمّ التّطرّق إليه في المطلبين السّابقيين المتعلّقين بالقيادة البريطانيّة للجيش العربي و من خلاله تنقّذ بريطانيا في القرار السياسي العربي ، و أيضاً تواطأ و تقاعس الحكومات والأنظمة العربيّة عن الدّفاع بشراسة و جديّة يتطلّبها الموقف عن فلسطين ، بسبب حسابات سياسيّة ضيّقة لا تمد لبصرها مدّاً أكثر من المحافظة على عروشها .

عندما أعلنت بريطانيا إصرارها على إنهاء إنتدابها في فلسطين في وقت لم تكن الأوضاع تخدم العرب ، رغم مطالبتهم لها بتمديد فترة الإنتداب عامّاً آخر ، كان عليهم حينها — و قد تكشّفت أبعاد المؤامرة² — ، لو كانت نواياهم صادقة لدحر الصّهاينة ، أن يوحّدوا صفوفهم و يهيئوا جيوشهم التي و إن لم تكن ترقى لمستوى الجيوش المتقدّمة في تلك المرحلة ، لكنّها كانت أفضل تسليحاً و تنظيمًا من جيوش العصابات الصّهيونيّة بداية الحرب و قبل الهدنة الأولى ، لقد مضى عن آخر الحروب التي خاضها الجيش المصري حينها أكثر من قرن من الزّمان ، و لم تكن جيوش الأردن و العراق و سوريا بأكثر قوّة ، أمّا الحديث عن جيوش حقيقيّة لدول مثل لبنان و السّعودية و

¹ -

² - الحاج أمين الحسيني : مرجع سابق ، ص 152.

اليمن و السودان ، فهو ضرب من ضروب المبالغة ، و مع كل ذلك فقد كان بالإمكان فعل الكثير ، و لم يكن الوقت قد فات بعد .

لقد حققت جيوش المتطوعين العرب إنتصارات حقيقية و فعالة كادت أن تقوّض المشروع الصهيوني من أساسه ، حيث استطاع القائد الفذ "عبد الله التل" * تحرير مدينة القدس و منع عصابات "الهجاناه" من السيطرة عليها في ما يعرف بمعركة القدس، و كتب البطل الشهيد المقدسي "عبد القادر الحسيني" - رحمه الله - واحدة من ملاحم التاريخ العربي و الإسلامي في معركة القسطل المجيدة ، وكذلك فعلت جيوش المتطوعين العرب قبل دخول الجيوش النظامية التي تعددت سقطاتها ، و التي كان أبرز فضائحها ، قضية الأسلحة الفاسدة¹ التي كانت سبباً في هزيمة الجيش المصري ، و التي عكست بحق مدى استهتار الأنظمة العربية و عدم جديتها بشأن فلسطين .

إنّ الهزيمة العربية في حرب 1948 كانت نتيجة حتمية لجملة من الأخطاء التراكمية على الصعيدين السياسي و العسكري ، يمكن إيراد بعضها فيما يلي :

1- على المستوى العسكري :

* كان هناك فارق شاسع في الخبرة القتالية ، فأغلب الجيوش العربية لم تخض حرباً سابقة منذ زمن بعيد ، بينما أغلب عناصر "الهجاناه" كانوا مجندين ضمن الفيلق اليهودي الذي قاتل على الجبهة الألمانية ضمن الجيش البريطاني في الحربين العالميتين.

* قلة تسليح الفرق الفلسطينية ، خاصة بعد الهدنة الأولى التي استفادت منها جيوش الصهاينة ، و التي قلبت موازين الحرب بعد أن كانت لصالح العرب.

* الأخطاء التكتيكية الفادحة للجيش الأردني مثل الإنسحاب من مدينتي "اللد" و "الرملة" الإستراتيجيتين و أراضي أخرى واسعة ضمن "الدولة العربية" وفق قرار التقسيم (181)، منها "الجليل الأعلى" و "النقب"، أدّت هذه الأخطاء لحصار القوّات المصرية و هزيمتها.

* غياب العقيدة العسكرية النابعة من الإيمان بعدالة قضية فلسطين عند القادة العسكريين ، خاصة بالنسبة لقيادة الجيش الأردني.

2- على المستوى السياسي :

* غياب خطة شاملة لجميع جوانب الأزمة و أبعادها السياسية و العسكرية ، و عدم وجود دراسات تاريخية مسبقة عن مخططات الصهاينة و تحالفهم مع الإمبريالية الغربية ، على المنطقة لدى الحكومة المصرية.

* الدعم المطلق و اللامحدود للأنظمة الغربية خاصة بريطانيا و أمريكا و فرنسا ، بدءًا بتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، مرورًا بالتسليح و الوسائل ، وصولًا إلى توفير الغطاء السياسي داخل و خارج أروقة الأمم المتحدة.

* سداجة الحكومات العربية و ثققتها العمياء في هيئة الأمم المتحدة من خلال الإلتزام بتطبيق مقرراتها بشأن التقسيم في الوقت الذي ضرب اليهود بتلك القرارات عرض الحائط¹.

* ضعف الحكام العرب أمام ضغط الحكومات الغربية - خاصة بريطانيا - ، التي ألقت بثقلها في مراكز صنع القرار العربي لتسهيل قيام دولة صهيونية في فلسطين.

* تدخل القيادة السياسية في توجيه نتائج الحرب ، كما فعلت القادة الأردنية التي أمرت جيشها بالانسحاب من مناطق كانت تحت سيطرته دون داع يذكر ، اللهم استجابة للأوامر البريطانية السرية .

و على العموم يعتبر الجانب السياسي السبب الرئيس و الأساسي للهزيمة ، ذلك ما عبّر عنه بوضوح رئيس وزراء الكيان الصهيوني "بن غوريون" في خطاب له في مجلس النواب اليهودي قائلاً : "نحن مدينون بنجاحنا في إقامة دولة إسرائيل ب 97.5 للسياسة و 2.5 للحرب و الجيش"²

-المبحث الثاني: العرب و فلسطين من التخاذل إلى التصادم المطلب الأول - حوادث (أيلول الأسود)

تعود الجذور الأولى لحوادث سبتمبر 1970 أو ما يعرف بحوادث أيلول الأسود في أدبيات التاريخ الفلسطيني المعاصر إلى المرحلة التي تلت حرب جوان 1967 ، و احتلال الكيان الصهيوني للضفة الغربية و قطاع غزة ، حيث لجأت قوات المقاومة الفلسطينية ، ممثلة في فدائيي حركة فتح و بقية الفصائل الفلسطينية ، إلى المنطقة

¹ - غلوب باشا : مذكرات غلوب باشا : حياقي في المشرق العربي ، مصدر سابق ، ص229.

² - الحاج أمين الحسيني : مرجع سابق ، ص184.

الواقعة شرق نهر الأردن و جعلتها منطلقاً لأعمالها ضدّ العدو الصهيوني ، كانت هذه الأعمال مصدر انزعاج واضح لإسرائيل ، حيث ندّدت بها و هدّدت عن طريق وسطائها في المنطقة ، أمريكا و بقية الدول الغربية ، و في مارس 1968 ، ترجمت ذلك التهديد إلى اجتياح للضفة الشرقية للنهر في منطقة الأغوار، في محاولة لاجتثاث المقاومة من جذورها ، فتصدّى لها الجيش الأردني مدعوماً بقوّات فرق الفدائيين الفلسطينيين ، و أرغمها على الانسحاب غرب نهر الأردن بعد أن كبّدها خسائر فاقت خسائرها في حرب 1967 ، ضدّ الجيوش العربية، عُرِفَت هذه المعركة بمعركة الكرامة المجيدة، نسبة إلى بلدة الكرامة الأردنية مركز المعركة¹، و كان لذلك الانتصار أثره المعنوي الكبير على الجانب العربي على العموم ، و الفلسطيني بوجه خاص لأنّه أوّل إنتصار للعرب على الجيش الصهيوني بعد نكسات متتالية.

ساهمت نتيجة معركة الكرامة في نقل حركة فتح من فعل مقاوم و مسلّح محدود ، إلى حركة تحرّر وطنيّة استقطبت عديد الفصائل الفلسطينية كجبهة التحرير الوطني الفلسطينية، وجبهة ثوار فلسطين ، ومنظمة طلائع الفداء، و حظيت هذه الفصائل بدعم مطلق داخل الأردن و في كامل البلاد العربيّة ، كما أصبحت لها شعبية أخلّت بموازين القوى تجاه الجيش الأردني الذي فقد السيطرة عليها ، و لم يعد ممكناً له حتى مراقبتها أو التّسيق معها ، كما أصبحت المنطقة مسرحاً لنشاط الجيش السوري الدّاعم للفدائيين الفلسطينيين ، بالإضافة لوجود قوّات عراقية قدّرت بنحو 17000 جندي، تمّ التوجّس منها في الأردن باعتبارها تهديداً صريحاً لسلطة الملك الأردني ، ممّا ولّد حالة من تداخل المصالح، أفضت في النهاية إلى صدام متواصل بين الطرفين .

و أمام هذه الحالة تدخل الملك حسين ، ملك الأردن بعد كثير من اللّغط السياسي و الإقتتال المتقطّع، في محاولة لضبط الأمور و سعى لإخراج المقاومة الفلسطينية من عمّان و المدن الأردنيّة ، و إعادة الهيبة للجيش الأردني مع محاولة تحجيم المقاومة الفلسطينية من خلال التّوصّل لاتفاقية " البنود السبع " بين الملك حسين و فصائل المقاومة الفلسطينية في نوفمبر عام 1968.

لكن تلك الإتفاقية لم تلبث أن انهارت ، بل أنّ الإقتتال قد استعرّ، فخلال الأشهر الأخيرة للعام 1968 و طيلة العام 1969 ، عرفت العاصمة عمّان مئات الإشتباكات الطّاحنة ، و الإغتيالات المتبادلة بين الطرفين ، لدرجة تسمية عمّان بـ " هانوي العرب ".

¹ - مجلة الطليعة، أيلول الأسود 1970، النّظام الأردني و المقاومة الفلسطينية من 16 إلى 28 سبتمبر 1970، منشورات منظّمة الطليعة العربيّة في تونس ، تونس 1995 ، ص02.

ثمّ جاء العام 1970 بتوتّر غير مسبوق ، حيث شهدت العاصمة عمّان في 11 فيفري 1970 صدامات دامية أدّت لوقوع نحو 300 قتيل وسط عمّان جلّهم من المدنيين ، حاول الملك حسين فرض الهدوء قائلاً: "نحن كلنا فدائيون"، لكنّ ذلك لم يؤثّر في مسار الأحداث المؤسفة المتلاحقة ، إذ تعرّض الملك حسين نفسه لمحاولتي اغتيال في شهر جوان ، ساهمت هذه الأعمال في ازدياد التشنّج ، و في تدفّق مزيد من الدماء ، وفُقد عدد الضحايا من الطّرفين بنحو 1000 قتيل بين شهري فيفري و جوان 1970 ، كان أغلبهم من المدنيين.

كانت جميع هذه الأحداث خارج نطاق المشكلة الحقيقيّة ، لكنّها كانت فعلاً تراكمياً أدّى إليها ، ذلك أنّ المشكلة الحقيقيّة قد بدأت يوم 06 سبتمبر 1970 ، عندما أقبل فدائيو الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين ، على اختطاف 3 طائرات في كل من ألمانيا و سويسرا و هولندا ، كانت متّجهة إلى نيويورك ، في واحدة من أفدح أخطاء المقاومة الفلسطينية منذ ظهورها ، نظراً لما ترتّب عليها من تداعيات أضرت بالقضيّة الفلسطينيّة داخليّاً و خارجيّاً .

جرى تحويل طائرتين إلى مطار في صحراء الأردن ، و الثّالثة إلى القاهرة ، و طالب الخاطفون بإطلاق سراح بعض المناضلين الفلسطينيين في السّجون الأوروبيّة، و تمّ إطلاق سراح ركّاب طائرة القاهرة وتفجيرها¹، بعد عدم تجاوب الحكومات الأوروبيّة مع مطالب الخاطفين ، تلا ذلك إختطاف طائرة مدنيّة رابعة ، و كرّر الفدائيون الفلسطينيون مطالبهم التي لم تلقى أيّة استجابة ، فلجأوا لتفجير الطّائرات الثّلاث أمام كاميرات الصّحافة العالميّة — بعد تسريح جميع الرّكّاب - .

و خلال المدّة بين 09 و 16 سبتمبر 1970 ، تسارعت الأحداث تباعاً، خاصّة بعدما أخذت بعداً عالميّاً بتدخّل القوى الكبرى دبلوماسياً ، للضّغط على الملك حسين و دفعه لاتّخاذ موقف حاسم من المقاومة الفلسطينيّة ، و هو ما بدأ مساء يوم 16 سبتمبر ، و ببشاعة لازالت توصف بأنّها حمام دم ، من خلال قصف مرّكز و كثيف لنيران الجيش الأردني لمعسكرات و مراكز تجمّع المقاومة الفلسطينيّة ، ثمّ تطوّر ذلك إلى هجوم شامل على مخيّمات الفلسطينيين ، و بدا واضحاً من خلال سير العمليّات العسكريّة للجيش الأردني ، نيّة الملك حسين في تصفية الوجود الفلسطيني بالكامل في الأراضي الأردنيّة.

¹ - موشيه دايان : مذكرات موشيه دايان ، قصّة حياتي، إعداد الحسيني الحسيني معدي ، ط1، دار الخلود للنشر و التوزيع ، القاهرة، 2011، ص 272.

استمرّت شراسة التّقتيل و البطش لغاية يوم 27 سبتمبر حاصدة الأخضر و اليابس في طريقها ، و فاق عدد ضحايا الأعمال العسكريّة الأردنيّة أكثر من 15 ألف قتيل، بين صفوف الفدائيّين و المدنيّين الفلسطينيّين ، و مُسِحَتْ مَحِيّمَات اللّاجئين الفلسطينيّين و شُرِدَ ما بين 50 و 100 ألف لاجئ ، ونددت الحكومات العربيّة بسياسة الملك حسين ، واصفة ما قام به بالقتل المبالغ فيه .

عملت الحكومات العربيّة على محاولة احتواء المعضلة ، بواسطة مبادرات مستقلّة من زعامات عربيّة مثل جمال عبد الناصر و معمر القذافي، و في إطار الجامعة العربيّة التي عقدت دورة طارئة ، توجت جميع هذه الجهود بوقف الإقتتال مساء 28 سبتمبر بشروط تضمّنت إخراج زعماء المقاومة المحاصرين في عمّان ، وانسحاب فرق الفدائيّين من الأردن نهائيّاً ، و كان ذلك نهاية الوجود الفلسطيني في واحدة من أهم دول الطّوق، عادت نتائج هذه الأحداث على الصّهيانية بمصلحة لم تكن تستطع أن تحقّقها، و لو كان ذلك بدعم أعتى قوى العالم ، في المقابل شكلت نقلة للوجود الفلسطيني من الأردن إلى لبنان ، لتفتح صفحة جديدة لا تقل إيلا ما عمّا جرى من بطش و تقتيل و اضطهاد للفلسطينيّين على أيدي (أشقاءهم) العرب، سنتطرّق إليها في العنصر التّالي.

كانت هذه الأحداث سببا مباشرا في وفاة زعيم القوميّة العربيّة جمال عبد الناصر ، الذي تعرّض لأزمة قلبيّة داخل قاعة إجتماعات الجامعة العربيّة ، نتيجة تأثّره بالأخبار الواردة من مسرح الإقتتال الدّامي ، ونتيجة أيضا للتعب الذي ناله من الجهد الذي بذله خلال الأحداث لوقف المجازر التي تعرّض لها الفلسطينيّون على يد الجيش الأردني، رغم تضارب الإشاعات بشأن تسميمه في قمة الخرطوم ، أو رحيله بسبب مضاعفات صحيّة ، كما أنّ إماطة اللّثام مؤخّرا عن خفايا تلك المرحلة ، كشف عن درجة إختراق عالية للصّهيونيّة و أذرعها في رسم و توجيه تلك الأحداث و بتنفيذ سواعد عربيّة ، و لازالت تلك الحلقة الدّامية تمثّل صفحة سوداء و مؤلمة في تاريخ العرب المعاصر .

المطلب الثّاني - مجازر تل الزّعتر

يقع مخيم تل الزّعتر في النّاحية الشّرقية من العاصمة اللّبنانيّة بيروت ، و كان سبب إنشاءه ، لجوء بعض العائلات الفلسطينيّة إلى هذا المكان هربا من الأحداث الدّامية في فلسطين عام 1948، و تقرّر اعتماد المخيم باتّفاق الدّولة اللّبنانيّة مع وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيّين (UNRWA) عام 1949 ، على أرض تابعة للوقف الماروني .

بلغ عدد سگان المخيم في البداية نحو 400 نسمة، ثم بدأ في استقطاب العائلات الفارة من الاضطرابات التي عرفتها المنطقة ، خاصة من داخل الأراضي المحتلة طيلة العقود الثلاثة التالية، حتى بلغ تعدادهم عام 1976 زهاء 31 ألف نسمة في مساحة لا تتجاوز 1 كلم²، مثل الفلسطينيين أكثر من نصفهم ، و الباقي لبنانيون فروا من المناطق الحدودية المحاذية لفلسطين ، كانوا أيضا ضحية للإعتداءات الصهيونية المتكررة .

كانت الساحة اللبنانية في المرحلة السابقة للأحداث الأليمة التي وقعت في صيف 1976 ، تغلي كالمرجل، نظرا لوجود تيارات حزبية تسعى لتحقيق أجندات متضاربة بشكل صارخ ، كما أنّ طبيعة التحالفات الموجودة بينها معقدة بشكل غريب ، فكان التيار المسيحي ممثلا بعدد كبير من الميليشيات التي لها زعامات طائفية و ولاءات سياسية ، و تيار لبناني درزي متحالف مع طوائف إسلامية ومدعوم من سوريا ، و طبعا حركات فلسطينية مختلفة المشارب ، يمكن تحديد هذه التيارات كما يلي:

- الحركة الوطنية اللبنانية :و ضمت الحزب التقدمي الاشتراكي ، الحزب الشيوعي اللبناني ،منظمة العمل الشيوعي ، الحزب السوري القومي الإجتماعي ، حزب البعث ببلبنان ، حركات و تنظيمات ناصرية من أهمها المرابطون و قد ترأس هذا التيار الزعيم الدرزي كمال جنبلاط ،

- الجبهة اللبنانية :و ضمت حزب الكتائب ، نمر الأحرار بقيادة داني شمعون ، حراس الأرز وتنظيمات لبنانية مسيحية راديكالية ، كان هذا التيار برئاسة كميل شمعون ، كان هذا التيار المسيحي متعاوناً مع إسرائيل منذ الخمسينيات ، كما كان أيضا مناوئاً لتدخل الناصرية أو التيار العروبي أو السوفيت ببلبنان.

- منظمة التحرير الفلسطينية: كانت منظمة التحرير تضم فصائل عديدة أهمها حركة فتح و يقود المنظمة ياسر عرفات (أبو عمار) على رأس مجموعة من القيادات، كما نشط في الساحة اللبنانية التيار الفلسطيني اليساري المتهور جداً و المعادي لإسرائيل (ذو الفكر الثوري).

كان لجميع هذه التيارات خطوط تفكير متضاربة و متقاطعة كما أسلفنا ، غلب على معظمها النهج الإستصالي في علاقته ببقية التيارات ، حيث أنّ لجميعها ميليشيات مسلحة و لها مناطق نفوذ معلومة ، و زاد من تأزيم الوضع قيام الجيش السوري باجتياح لبنان ، ففضى على جميع التوازنات السابقة ، و زرع الوضع السالف ، ليخلق واقعا جديدا ألهم الساحة اللبنانية التي كانت كالوقود الذي ينقصه عود الثقاب ، كما كان دخول الجيش السوري بعلم مسبق و رضا مشروط من إسرائيل ، لذلك جاءت مجازر تل الزعتر الرهيبة تحصيل حاصل ، غير أنّ المؤلم فيها أنّ الشعب الفلسطيني الأعزل هو الذي قُدم ككبش فداء ، و قربانا أُهرق دمه على مذبح تصفية الحسابات بين هذه التيارات .

حدث ذلك في صيف 1976 ، بعد حصار خانق - بالمعنى الحرفي للكلمة - لمخيم تل الزعتر دام 52 يوما متوacula تحت القصف اليومي للمدافع السورية المتحالفة مع الميليشيات المارونية ، و منعت المنظمات الإنسانية و وكالة الأونروا من إيصال المساعدات الغذائية و الطبية لأهل المخيم ، و تحفل شهادات الناجين و الصحفيين الذي

غطّوا تلك المذبحة بقصص رهيبة ، لا يتّسع المجال لسردها ، لا يمكن لخيال الأدبي تصوّر بشاعتها ، وسط إستغراب المجتمع الدّولي من تقاعس منظمّة التحرير الفلسطينية في الدّفاع عن سكّان المخيم ، بحسابات سياسيّة ضيّقة و وسط صمت عربي مطبق إلّا من بعض الأصوات الناشزة المبحوحة .

قامت الميليشيات المارونيّة باقتحام المخيم صبيحة 12 أوت 1976 و باشرت هجميّتها قتلاً و ذبحاً للأطفال و الشّيوخ و بقرّاً للبطون و اغتصاباً للنساء دون تمييز و بعشوائيّة مطلقة ، لترتكب واحدة من أبشع المذابح في التّاريخ التي يندى لها جبين الإنسانيّة ، و استمرّت آلة الموت تحصد الأبرياء حتى تمّت إبادة المخيم بالكامل ومسحه من الخارطة نهائيّاً مساء يوم 16 أوت 1976¹، ذلك اليوم المشهود الذي شرع فيه الأهالي في عدّ ضحاياهم ، حيث قدّر عددهم الإجمالي بنحو 6000 قتيل في متوسّط التّقديرات ، و فرّ جميع من استطاع الفرار و هامت بقيّة الأسر على وجهها ، فلوحقت و قُتلت أسر و كُتب لأخرى النّجاة ، لتروي للعالم القصّة المروّعة للمذبحة المرتكبة بأيدي الأشقاء .

لا يمكن فهم ما جرى بالضبط ، إذا علمنا أنّ المسؤولين عن تلك المذبحة ، قد عاشوا بعدها عقوداً من الزّمن ، و تقلّدوا مناصب سياسيّة في كثير من الهيئات و الحكومات اللاحقة ، و لعبوا أدواراً طلائعيّة في المنطقة ، و مازال بعضهم في دواليب السّلطة إلى الآن ، كما أنّ المحيّر أنهم ضلّوا جميعاً بمنأى عن أيّة مساءلة أو محاسبة ، بل أنّ الضّحايا الذين سقطوا في تلك المذبحة هم الذين جرى تجاوز ذكراهم و حتّى أسماءهم .

- المطلب الثالث - حرب الخليج الثّانية:

كان عدد الفلسطينيين في الكويت قبيل الإجتياح العراقي - أو ما يسمّى بحرب الخليج الثّانية - يزيد عن 400 ألف فلسطيني² ، يعمل أغلبهم في قطاع الخدمات ، يشكّلون النّسبة الأكبر من بين الجنسيات الوافدة ، بنحو 27.9 بالمائة من مجموع الجاليات بما فيها العربيّة ، غادر نصفهم البلاد فور دخول القوّات العراقيّة ، لأسباب تعدّدت بين الخوف من الإضطهاد و نقص التّموين و الخوف من الإعتقال وخشية مصادرة الأموال و حتّى لتراجع الرّعاية الصّحيّة ، و تعرّض باقي المقيمون الفلسطينيون لشتّى أنواع الإضطهاد بعد انسحاب القوّات العراقيّة³ ، بسبب رئيس و أساسي تمثّل في اصطفاك منظمّة التحرير الفلسطينية و أغلب الفصائل الفلسطينية إلى جانب الرّئيس العراقي صدام حسين و مساندته في غزوه للكويت ، بعد أن ربط انسحاب الجيش

1 - كميل شمعون : أزمة في لبنان ، مؤسسة الفكر الحر ، بيروت ، 1977 ، ص 132.

2 - محمّد الرّمحي : أصداء حرب الكويت ، ردود الفعل العربيّة على الغزو و ما تلاه ، ط1، دار السّاقى ، بيروت ، لبنان ، 1994 ، ص 43.

3 - محمّد الرّمحي : مصدر سابق ، ص 48.

العراقي من الكويت ، بانسحاب إسرائيل من الأراضي العربيّة المحتلّة بطريقة شعبيّة ، مع أنّ هذا الموقف لم يتفق معها فيه أغلب الفلسطينيين المقيمين في الكويت ، إضافة إلى رفضه من طرف العديد من الفصائل الفلسطينيّة مثل حركة حماس .

إنّ المتتبع لمسار النضال الفلسطيني الطويل على درب المطالبة بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، بإمكانه أن يلحظ دون كبير عناء ، مدى السقطات و الزلات الخطيرة لقادة المقاومة و أجهزتها ، والتي جرّت على الشعب الفلسطيني المثكول ، المزيد من الويلات و الكروب من أشقائه قبل أعداءه .

كذلك كان الحال مع ما جرى إبّان حرب الخليج الثانية ، فقد دفع اللاجئون الفلسطينيون ثمن المواقف المنحازة لقيادتهم لجهة عربيّة هي العراق¹ ، على حساب جهة عربيّة أخرى هي الكويت ، و كأننا أمام قيادة حديثة العهد بالعمل السّياسي تفتقد أدنى متطلبات المسؤوليّة ، تعاني قصوراً في فهم و تقدير الظروف الراهنة ، ممّا يؤدي للتورّط في مواقف محرّجة دبلوماسيّاً² .

و مهما حدث من أخطاء ، فليس هناك أي مبرّر لما ارتكب في حقّ اللاجئين الفلسطينيين في الكويت، من اضطهاد و تشريد و تسريح من الوظائف و مصادرة للأموال ، و طرد خارج البلاد ، و تعطيلاً للممثليات و غلقاً للوصلات و السفارات الدبلوماسية و وقف المعونات و المساعدات التي كانت تمنح دورياً للفلسطينيين³ ، لم تكن هذه الإجراءات وفقاً على الكويتيين، بل تعدّتها موجة الإضطهاد إلى أغلب الدول الخليجيّة خاصّة السعوديّة و الإمارات و البحرين بدرجات متفاوتة .

ساهم التحريض الإعلامي في تسويد صورة الفلسطينيين لدى الرّأي العام الكويتي بالخصوص و الخليجي عموماً ، و عند جلاء القوّات العراقيّة من الكويت تحت الضّغط الدّولي ، تمّ تحميل ما تبقى من المقيمين الفلسطينيين وزر مواقف قيادة منظّمة التحرير ، و عاشوا جرّاء ذلك ظروفًا إقتصاديّة و أمنيّة عسيرة ، كما تمّ منعهم من العودة إلى وظائفهم السّابقة ، و تحدّثت جهات فلسطينيّة عن اعتقال نحو 6000 فلسطيني ، في الفترة التي أعقبت تحرير الكويت .

1 - محمّد الرّميجي : نفس المصدر ، ص 44 .

2 - محمّد الرّميجي : نفس المصدر ، ص 50 .

3 - محمّد الرّميجي : نفس المصدر ، ص 46 .

و أيّا كانت خسائر اللاجئيين الفلسطينيين ، جرّاء حرب الخليج الثانية ، فإنّها على المدى المتوسّط والبعيد لا تكاد تذكر ، مقارنة بخسارتهم التي أعقبت تلك المرحلة ، و التي كانت نتيجة طبيعيّة لتخلّي أغلب الحكومات العربيّة عنهم، عندما دُفِعَ الفلسطينيون إلى طاولة المفاوضات (مدريد - أوسلو) دفعاً¹ ، ليوقعوا على شهادة انتحار مقاومتهم باعترافهم بالكيان الصّهيوني ، و بدون أدنى مقابل .

الفصل الثالث

-المبحث الثالث: العرب و إسرائيل من العداوة إلى التّطبيع

المطلب الأوّل: تحاذل عربي باسم السّلام :

كانت القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى لما كان العرب عرباً ، و لذلك فقد كانت هاجس أمّتهم و محور إجتماعاتهم و رأس قضاياهم و شغلهم الشّاغل في سرّهم و علانيتهم، كما كانت تأخذ حيّزاً مهماً في مناهجهم التّربويّة و مقرّراتهم الدّراسيّة ، و نشأت أجيال الطّلاب العرب على عدالة القضية الفلسطينية، و أنّ هناك أرضاً عربيّة مغتصبة و شعباً عربيّاً يعاني الإضطهاد و القتل و التّهجير ، و صدحت حناجر ملايين الطلبة العرب بنشيد " فلسطين داري و درب انتصاري ، تظلّ بلادي هوىّ في فؤادي و لحناً أيّباً على شفّتيّا " .

و المتتبّع لمسار التّعاطي العربي مع القضية الفلسطينية يمكنه ملاحظة أنّ العرب في بداية الأمر أخذوا الأمر من منطلق قومي عربي² ، حيث اعتبروا أنّ المساس بشبر واحد من فلسطين التّاريخيّة هو مساس بجميع مكوّنات الوطن العربي الجغرافيّة ، و أنّ إهدار كرامة الفلسطينيين هو خدش في جدار الكرامة العربيّة قاطبة .

وحثّ منتصف سبعينيّات القرن الماضي كان الأمر كذلك ، إلّا أنّ خروج مصر عن الصّف العربي و بدأ مسار التّفاوض مع الصّهاينة سرّاً ثمّ علانيّة، أصاب المناضلين في سبيل القضية الفلسطينية - شعوبا و حكومات - في مقتل ، لقد كان ما قام به نظام أنور السادات خيانة - لا لبس فيها - لدماء ضحايا المجازر الصّهيونيّة ، و لتضحّيّات عشرات الآلاف من الشّهداء العرب و المسلمين على تخوم فلسطين ، ولنضالات الكثير من المتعاطفين

¹ - محمّد الرّمحي : مصدر سابق ، ص 50.

² - - محسن محمّد صالح : القضية الفلسطينية خلفيّاتها و تطوّراتها المعاصرة، مركز الزّيتونة للدراسات و الإستشارات ، بيروت ، لبنان، 2012 ، ص71.

و المؤمنين بعدالة القضية الفلسطينية من شتى أصقاع العالم ، بل أنّ هذه المعاهدة الدّليّة تعتبر خيانة لبطولات و جهاد صلاح الدّين الأيوبي و تجاوز صريح للعهد العُمريّ العصماء (أنظر الملحق) .

و فيما يلي تسلسل مسار التّفافوض العربيّ مع إسرائيل الموصوف في الخطاب السّياسي والإعلامي بمسار السّلام بينما هو في الأصل خضوع و خنوع و تضيق للحقوق المشروعة :

- معاهدة السّلام المصريّة -الإسرائيليّة (كامب ديفيد 1979) :
تمّ توقيع "معاهدة السّلام المصريّة الإسرائيليّة" في 26 مارس 1979، من قبل الرّئيس المصريّ الأسبق أنور السّادات و رئيس الوزراء الإسرائيليّ مناحيم بيغن، تحت رعاية الرّئيس الأمريكيّ الأسبق جيمي كارتر.

تضمّنت بنود الإتفاقيّة مقدّمة و 9 مواد، مع ملاحق ووثائق تتعلّق بالترتيبات الأمنيّة و تطبيع العلاقات ، و تفاصيل و ترتيبات الإنسحاب الإسرائيليّ من سيناء ، و أثارت المعاهدة غضبًا واسعًا على الصّعيد الرّسمي والشّعبيّ في الوطن العربيّ، حيث خرجت المظاهرات المندّدة بالإتفاقيّة التي اعتُبرت خيانة، وكان من نتائجها تعليق عضوية مصر في جامعة الدّول العربيّة، كما تمّ نقل مقرها من القاهرة إلى تونس،

أمّا الرّئيس أنور السّادات فقد طالته أيادي الغاضبين من توقيع الإتفاقيّة، حيث اغتيل في حفل عسكريّ يوم 06 أكتوبر 1981.

- معاهدة السّلام الأردنيّة - الإسرائيليّة (وادي عربة) :

على الرّغم من أن الأردن يعتبر أوّل الدّول العربيّة التي كان لها تواصل سرّي مع الكيان الصّهيونيّ بعد أحداث سبتمبر 1970 الأليمة ، إلّا أنّها ثاني الدّول العربيّة التي وقّعت معاهدة سلام مع إسرائيل، بعد مصر.

سميت هذه الإتفاقيّة باسم المكان الذي تمّ توقيعها فيه : و هو (وادي عربة) الواقعة على الحدود الأردنيّة الإسرائيليّة، و قام بتوقيعها في 26 أكتوبر عام 1994، على الجانب الأردنيّ رئيس الوزراء الأردنيّ عبد السّلام النّجاليّ ، و على الجانب الإسرائيليّ رئيس الوزراء الإسرائيليّ إسحاق رابين، ، كما قام الملك الأردنيّ حسين بن طلال بمصافحة الرّئيس الإسرائيليّ عايّز ويزمان، تمّت هذه الإتفاقيّة بإشراف ومباركة و حضور الرّئيس الأمريكيّ بيل كلينتون¹.

¹ - العلاقات الفلسطينية الاردنية، ص 7.

جاء في ديباجة المعاهدة أن البلدين يهدفان "إلى تحقيق سلام عادل ودائم وشامل في الشرق الأوسط، مبني على قراري مجلس الأمن 242 و338 بكل جوانبهما"، كما حوت تفاصيل تطبيع العلاقات من "إقامة سلام دائم" مبني على "علاقات حسن الجوار"، و أيضا الترتيبات الأمنية و الزراعة و البيئة و حصّة المياه .. وغيرها.

جاءت الإتفاقية بعد مرور نحو عام على المصافحة التاريخية للرّعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين، خلال مراسيم التوقيع على إتفاقية أوسلو 1993.

- إتفاقية السلام الفلسطينية - الإسرائيلية (أوسلو) :

بعد جولات عديدة من المفاوضات بين منظّمة التحرير الفلسطينية ، شهدتها مدينة أوسلو النرويجية تمّ توقيع الإتفاقية التي حملت اسم أوسلو مع أنّ حفل توقيعها جرى في حديقة البيت الأبيض في واشنطن و بإشراف ومباركة و حضور الرئيس الأمريكي بيل كلينتون.

في 13 سبتمبر 1993 تم توقيع اتفاق "إعلان المبادئ الفلسطيني - الإسرائيلي" وقّعه عن الجانب الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) وعن الجانب الإسرائيلي وزير الخارجية شمعون بيريز، بحضور الرّعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين تحت أنظار الرئيس الأمريكي بيل كلينتون.

تألّف إعلان المبادئ ذاك من 17 مادة و4 ملاحق. وكان الهدف منه حسب نصوصه هو أن تؤدّي المفاوضات إلى إقامة سلطة ذاتية إنتقالية فلسطينية في الضقة الغربية وقطاع غزة لفترة إنتقالية لا تتجاوز 05 سنوات، تؤدّي إلى تسوية دائمة تقوم على أساس قراري مجلس الأمن 242 و338.

- اتفاقية التطبيع الإماراتية - الإسرائيلية :

في 13 أوت 2020 أعلن الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب التوصل إلى اتفاق مفاجئ لتطبيع العلاقات بين إسرائيل والإمارات ، وقال أنّه يأمل أن تحذو دول عربية أخرى حذو الإمارات، وزعم مسؤولون إماراتيون بأنّ الإتفاق سيضع حدا لضم المزيد من أراضي الضقة الغربية لإسرائيل، لكنّ رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو علّق على ذلك بأنّ ضم الأراضي الذي وافقت عليه إسرائيل مؤقت. (أنظر الملحق)

- اتفاقية التطبيع البحرينية - الإسرائيلية :

و في 11 سبتمبر 2020 أعلنت البحرين إتفاقها على تطبيع العلاقات مع إسرائيل، وقالت إنّ فحوى الإتفاق من شأنه تعزيز "الإستقرار والأمن والرخاء في المنطقة" وذلك في بيان مشترك مع إسرائيل والولايات المتحدة. (أنظر الملحق)

- اتفاقية التطبيع السودانية - الإسرائيلية :

اتفاق التطبيع السوداني - الإسرائيلي هو اتفاق أُعلن بين السودان , إسرائيل في 23 أكتوبر 2020، وبتوقيعه أصبحت السودان خامس دولة عربية بعد مصر عام 1979 والأردن عام 1994، والإمارات والبحرين في سبتمبر 2020 توقع اتفاقية سلام مع إسرائيل، ستعمل الاتفاقية على تسوية العلاقات بين البلدين وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة بينهما ، و قال المسؤولون السودانيون أنّهم راعوا في ذلك مصلحة السودان العليا عبر الوعود التي تلقوها من طرف الولايات المتحدة الأمريكية بشأن رفع إسم السودان من قائمة الدول المتهمة برعاية الإرهاب .

- اتفاقية التطبيع المغربية - الإسرائيلية :

الإتفاق المغربي الإسرائيلي هو إتفاق تطبيع للعلاقات جرى بين المملكة المغربية وإسرائيل في 10 ديسمبر 2020 بوساطة الرئيس الأمريكي المنتهية ولايته دونالد ترامب، لتصبح المغرب سادس دولة عربية تطبع علاقاتها مع إسرائيل بعد مصر والأردن والإمارات والبحرين والسودان .

و إلى جانب هذه الإتفاقيات تجدر الإشارة أنّ بعض الدول العربية أنشأت قنوات اتصال محدودة و أخرى مكاتب للتبادل التجاري ، بصيغة علاقات غير رسمية ، من هذه الدول: موريتانيا و قطر وتونس.

- مبادرات السلام العربية :

قبل التوصل إلى توقيع اتفاقات بين الدول العربية وإسرائيل، كان هناك مفاوضات ولقاءات مستمرة اتسمت بالسريّة في معظمها، و كذلك كانت ثمة مبادرات طُرحت بهدف "تحقيق السلام" في المنطقة، أبرز هذه المبادرات هي التي طرحتها المملكة العربية السعودية بعد سنوات قليلة على كامب ديفيد، و ذلك في قمة فاس بالمغرب عام

1981، باسم "مبادرة الملك فهد للسلام" ونصّت على "حق كل دول المنطقة في العيش بسلام" تمّ رفض المبادرة من: سوريا والجزائر وليبيا والعراق.

و بعد 21 عاما و في قمة بيروت عام 2002 عادت السعودية لتطرح مبادرة "للسلام"، عرضها ولي العهد السعودي عبد الله بن عبد العزيز (الذي أصبح ملكا لاحقا) باسم "المبادرة العربية للسلام" التي نصّت على الموافقة على "التطبيع الكامل مع إسرائيل مقابل السلام".

المطلب الثاني : ضعف العرب و قوّة إسرائيل :

جاء الجيش الأمريكي في ريادة ترتيب أقوى جيوش العالم لعام 2021 وفق تصنيف "غلوبال فاير باور" لعام 2021 ، ولم تأت أي دولة عربيّة ضمن المراتب العشر الأولى وفق التصنيف¹.

و بحسب الموقع الإلكتروني لقناة الحرّة فإنّ موقع "غلوبال فاير باور" اعتمد في تصنيفه هذا على 50 عاملا هي التي تحدّد مدى تقدّم الجيوش أو تأخّرها، و يشمل ذلك القدرة العسكريّة والماديّة، بالإضافة إلى العوامل اللوجستيكيّة والجغرافيّة.

و جاءت جيوش روسيا و الصّين و الهند تاليا في القائمة خلف أمريكا بالترتيب ، و جاء تصنيف الجيش التركي في المرتبة 11 في طليعة جيوش الشرق الأوسط ، والجيش المصري في المرتبة 13 كأول جيش عربي ، ثمّ يليه الجيش السعودي في المرتبة 17 ، و الجيش الجزائري في المرتبة 27 ، واحتلّ الجيش الإماراتي مرتبة رابع أقوى الجيوش العربيّة، بحصوله على التصنيف 36 عالميا.

ما يدعو للإستغراب أنّ الجيش الإسرائيلي — رغم ترسانته التّوّيّة التي تتعدى 200 رأس نووي ، و آخر أنظمة الصّواريخ ، وبطاريات الدّفاع المتطوّرة ، و أنظمة الرّصد و القبة الحديديّة و أحدث الرّدارات حلّ في المرتبة 20.

إنّ نزاهة إسرائيل في الإعتراف بقدراتها العسكريّة مسألة مطعون فيها من قبل الأوساط المحليّة في الدّاخل الإسرائيلي ، ناهيك عن مراكز الدّراسات و البحوث الأجنبيّة ، ثمّ إنّنا أشرنا في الفصل الأوّل أنّ أحد أوجه

¹ <https://www.alhurra.com/arabic-and-international/2021/02/20> -/مصر-الأولى-عربيا-أقوى-جيوش-العالم-في-

2021 ، تاريخ النّشر : 21 فبراير 2021 ، تاريخ الدّخول: 27 جويلية 2021 ، الساعة : 22:09.

التسلل الصهيوني في مفاصل الدولة العميقة في الولايات المتحدة الأمريكية ، هو تغلغل عيونه و أعوانه في مراكز البحوث و الدراسات ، و التي تسهر على توجيه نتائج التقارير بما يخدم المصالح الكبرى لإسرائيل من قبيل التقرير المذكور آنفا.

أما الحديث عن جيوش عربية قوية بالمفهوم المعاصر للقوة العسكرية ، القادرة على مجابهة عدو متطور جدًا ، فهو ذرّ للرماد في العيون ، و لا مجال للمقارنة بين قدرات الجانبين ، والأمثلة عن ذلك كثيرة و الشواهد عديدة ، لعل أقربها إلى الأذهان قوة الجيشان العراقي و السوري الذين كانا من أقوى الجيوش العربية ، و الذين لم يصمدا أمام الجيش الأمريكي في 2003م بالنسبة للجيش العراقي ، أما الجيش السوري فقد جرى تفتيته و إغراقه في حرب داخلية طاحنة .

لقد بالغت الحكومات و الأنظمة العربية في شراء و تكديس كميات الأسلحة خلال عقود طويلة دون أن تقوم ببناء سياسة محلية تقوم على تطوير قدراتها الذاتية ، بعيدا عن أعين أعداءها ، و لذلك فقد كانت هدفا سهلا خلال جميع الحروب ضد الكيان الصهيوني و حلفاءه ، حيث مُنيت بالهزائم والتكبات المتتالية ، و الأكثر إبلاما في هذا الأمر أنّ ذلك تمّ على حساب قوت الشعوب العربية ، التي عاشت التصف الأول من القرن الماضي تحت نير الإستعمار ، و عانت في نصفه الثاني من البطالة والجوع والمرض و الجهل و الإستبداد ، فقط من أجل دعم " المجهود الحربي " الذي انتهى بضياع درة الوطن العربي فلسطين ، بعد أن أوهمهم الحكام العرب بقرب رمي إسرائيل في البحر .

المطلب الثالث : الإنحدار التاريخي : من مواجهة العرب لإسرائيل إلى مواجهة غزة لإسرائيل .

أكثر من 70 عاما مضت على اغتصاب فلسطين ، خلال هذه المدة تحوّل واقعهم إلى سراب ، و التهمت حقوقهم التنازلات ، و أكثر مصائب الفلسطينيين عندما تولّى عنهم أشقاءهم لعرب ، فزادت أطماع الصهاينة لسحقهم ، و بعد أن نصّ قرار التقسيم رقم 181، الصادر عن الهيئة الأممية بتاريخ 29 نوفمبر 1947م ، على إقامة دولة يهودية على مساحة 55% أرض فلسطين التاريخية ، أصبح الصهاينة اليهود يعشون بما نسبته 78% منها ، أي بأكثر ممّا حلموا به ، على الأقلّ لحد الآن.

و خلال هذه المدة أيضا تمّ تهجير ملايين الفلسطينيين من أراضيهم يعيشون مشرّدين في شتّى أصقاع العالم ،
و لا يزال الاحتلال و الهمجية الصهيونية تقتل و تسجن و تُشرّد من أثر البقاء والتشبّث بأرضه أمام أنظار العرب
و المسلمين ، المنهمكين في ترتيب نصوص إتفاقيات التطبيع و تبادل السفراء مع الكيات الغاصب .

لقد كانت شعارات العرب في بادئ الأمر تبعث على التفاؤل ، لكنّ الشعار الأبرز كان شعار "قومية
المعركة"¹، لكنّها ما لبثت بعد نكسة 1967 و تضييع ما تبقى من أراضي فلسطين ، أن اتّجهت " نحو ترسيخ
الواقع و ليس إلى تغييره ، أو بعبارة أخرى اتّجه نحو " التسوية " و ليس نحو " التحرير " لأسباب ذاتية و
موضوعية " بتعبير الباحث محسن محمّد صالح .²

و في الوقت الذي انشغل فيه الحكومات العربية بدغدغة عواطف الجماهير العربية الغاضبة بالخطابات و
الوعيد لإسرائيل ، كانت الأخيرة تنبّت أقدامها و تحصّن خنادقها القتالية استعدادا للمعركة القادمة ، كما كانت
تجري تجاربها النووية مع حليفها فرنسا .

و جاءت اللحظة التي تمناها الحكّام العرب ، عندما أعلن عن ميلاد حركة فتح و إنشاء منظمة التحرير
الفلسطينية ككيان جامع لتيارات النضال الفلسطيني بشقيه السياسي و المسلّح ، فانتقلت المواجهة من عربية -
إسرائيلية إلى فلسطينية - إسرائيلية ، فكان ذلك بمثابة بداية غسل اليد العربية من قضية فلسطين في الجانب
الرسمي بينما لم تهدأ فورة الغضب العربي شعبيا ، و تعزّز شعور الحكومات والأنظمة العربية بالتخلّص من عبء
مسؤولية الملف الفلسطيني في القمة العربية في الرباط سنة 1974م، بصدور قرار اعتبار " منظمة التحرير الفلسطينية
الممثل الشرعي و الوحيد للشعب الفلسطيني " .

¹ - محسن محمّد صالح :مرجع سابق ، ص71.

² - نفس المرجع ، ص 72.

و كان منتصف العقد السّابع من القرن الماضي ليلا أسودا على الفلسطينيين ، جرّاء الإضطهاد الذي طاهم على يد أشقاءهم السّوريين و اللّبنانيين ، حيث ارتكبت في حقهم واحدة من أبشع جرائم التّقتيل عبر التاريخ في محيّم تل الزّعتر ، و لأنّ المصائب لا تأتي فرّادى ، لم يلبث الفلسطينيون أن طعنوا في ظهورهم عندما كُشف الستار عن بدأ مسار التّفاوض لتوقيع اتّفاقية سلام بين مصر و إسرائيل (كامب ديفيد) و التي تمّ صياغة بنودها و اعتمادها بدءا من العام 1979م ، و كانت هذه الإتّفاقية باكورة التّخاذل العربي "المعلن" في الدّود عن أم القضايا العربيّة بعد زحفت بعض الحكومات العربيّة لتطلب ود الكيان الصّهيوني مثل منظمّة التّحرير الفلسطينيّة الأردن خلال العقد الأخير من القرن الماضي، قبل أن تبدأ الهرولة العربيّة نحو التّطبيع من قبل دول الإمارات و البحرين و السّودان و المغرب، و تبدأ معها مرحلة جديدة من الصّراع و المواجهة بعنوان مواجهة غزّة- إسرائيل منذ مطلع القرن الجاري.

إنّ الواقع الحالي للعرب يتّجه بالعموم لغسل يده من القضية الفلسطينيّة —على الأقل في الجانب الرّسمي- ، ذلك أنّ دائرة الخذلان لا تفتأ تزيد ، و الأنظمة العربيّة التي آثرت البقاء على عهدا لفلسطين و ترفض علانية تطبيع العلاقات مع الكيان الصّهيوني و التي يمكن وصفها بتيّار المقاومة ، تعيش اليوم واقعا داخليا صعبا في ظل التّحدّيات الإقليميّة و الدّولية الضّاغطة ، و هي بالأساس الدّول التي شكّلت "جبهة الصّمود و التّصدي" * العربي أّيّام الحرب العربيّة —الإسرائيليّة- ، و على رأس هذه الدّول الجزائر التي ندّد رئيسها عبد المجيد تبّون في حوار صحفي بالهرولة العربيّة للتّطبيع مع الكيان الصّهيوني¹ ، مجدّدا دعم الجزائر المطلق للشّعب الفلسطيني في نضاله من أجل نيل حقوقه المشروعة ، إقامة دولته المستقلّة على أرض فلسطين التّاريخيّة و عاصمتها القدس الشّريف ، في موقف يتّسق اتّساقا مطلقا مع مواقف الجزائر التّاريخيّة تجاه فلسطين ، و التي توجزها المقولة الخالدة للرئيس الراحل —هوّاري بومدين- و التي يعلمها القاصي قبل الدّاني: (الجزائر مع فلسطين ، ظالمة أو مظلومة).

الخاتمة

1985

لة
Ur

خاتمة

عقب تطرّقنا لمحتويات الدّراسة بالتّفصيل ، توصّلنا لحصر الإستنتاجات التّالية :

- أنّ الصّهيونيّة المسيحيّة حملت على عاتقها مسؤوليّة تجسيد المطامع الصّهيونيّة في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، مستندة لجملة من الثّوابت التي بنت عليها فكرها في كسب تأييد الجماعات اليهوديّة ، التي كان أغلبها منتشرا في أوروبا قبل أن تتحوّل إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة، كما يُعزى الفضل في بعث و ظهور الصّهيونيّة المسيحيّة للصّحفي النمساوي تيودور هرتزل ، عزّاب المؤتمر الصّهيوني الأوّل بازل 1897م .

- أنّ الحركة الصّهيونيّة نجحت في ربط مشروعها بالأصوليّة المسيحيّة كغطاء ديني ، لكنّها تسلّلت إلى صُلب الفكر الأمريكي لتغزو جميع جوانب المجتمع الأمريكي ذي الحركة الحضاريّة المتسارعة .

- ساعدت عديد العوامل في نشر و ترويج فكرة المشروع الصّهيوني بعضها ذاتي مثل التّخطيط المحكم لقادتها الذين راهنوا على التّفاسير التّوراتيّة الممزوجة بتعاليم الكنيسة البروتستانتية لإخفاء نواياهم الإستيطانيّة ، كما زاوجوا بين الحقد التّاريخي للغرب على اليهود و مفهوم التّباكي اليهودي على المظالم المرتكبة في حق اليهود عبر التّاريخ للخروج بتبريرات داعمة لمشروعهم الإستعماري.

- و منها ما هو موضوعي ، حيث ساهمت الظروف السّائدة نهاية القرن 19 م و مطلع القرن 20 م ، في تعبيد الطّريق لحملة الفكر الصّهيوني ، فقد عايش هؤلاء التّحوّلات الحضاريّة الكبرى في المجتمع الأمريكي ، خصوصا بعد دخول الولايات المتّحدة الأمريكيّة الحرب العالميّة الأولى إلى جانب الحلفاء ، وفي نفس الوقت شهد العالم زوال الدّولة العثمانيّة نهائيا من الخارطة العالميّة مع ما كانت تمثّله من ثقل جيوسياسي في المنطقة باعتبارها مرجعيّة دينيّة للعالم الإسلامي ، كما أفرزت الحربين الكونيتين واقعا سياسيا جديدا تماما بسقوط أو تراجع قوى عديدة مثل روسيا القيصريّة و بريطانيا و فرنسا، في مقابل ظهور الولايات المتّحدة الأمريكيّة في الغرب، و إتحاد الجمهوريات السّوفييتية في الشّرق كقطبين سياسيين جديدين قسما العالم إلى نصفين و كاد أن يؤدّي نزاعهما إلى حرب مدمرة في عز ما عُرف بالحرب الباردة التي كانت لها تداعيات مباشرة و أخرى غير مباشرة على القضية الفلسطينيّة سلبا و إيجابا.

- اتبعت الحركة الصهيونية استراتيجية انتشار شاملة ، قامت على تعميم و شمولية مشروعها و تكامله في جميع جوانبه السياسية و الاقتصادية كما ركزت على الجوانب الثقافية و الدعائية ، و واجهت أعداء مشروعها وخصومها بشراسة مدروسة و فعالة و صارمة ، كما راهنت بمشروعها الفتى على تعاطي القوى الإمبريالية ممثلة في بريطانيا أولاً ثم الولايات المتحدة تالياً ، نظرا لتقاطع الأفكار الإستعمارية للمشروعين : الإستيطاني الصهيوني و الإستعماري الإمبريالي .

- قامت العلاقة بين الحركة الصهيونية و الولايات المتحدة الأمريكية على أسس و روابط متشعبة ، منها الدينية ، حيث أنّ أكثر المتحمسين الذين جاهروا بضرورة إقامة وطن قومي لليهود هي الشخصيات الإنجيلية في أمريكا ، و لم يتوقف هذا الدعم إلى اليوم ، كما أنّ هناك روابط مصلحة إستراتيجية ضمنت استمرارية العلاقة بينهما ، مثل قرب إسرائيل من منابع النفط و الحضور الإقليمي و مكافحة الإرهاب و غيرها ، أمّا على الصعيد السياسي فدور إسرائيل الوظيفي في المنطقة لا يخفى على أحد ، ناهيك عن ظروف الحرب الباردة التي ميّزت مرحلة ظهور و تأسيس الكيان الصهيوني .

- يمكن حصر أسباب و مظاهر الرعاية الأمريكية في تأثير اللوبي الصهيوني في دوائر صنع القرار الأمريكي مثل الكونغرس و سيطرته على النظام الإنتخابي ، و كذلك في القوة المالية الهائلة للجماعات اليهودية في الدّاخل الأمريكي ، يضاف إلى ذلك الأذرع الإعلامية الطويلة و قوّة تأثير الجالية اليهودية في الرّأي العام الأمريكي، كما لا يمكن القفز على التأثير المطلق لليهود في توجّهات السياسة الخارجية الأمريكية .

- تمثلت الرعاية السياسية الأمريكية لإسرائيل في ميادين ملموسة مثل إجهاض مشاريع القرارات الأممية لصالح القضية الفلسطينية بالتلويح بحق النقض (الفيتو) ، و تسخير ثقلها السياسي في العالم لخدمة المصالح الإسرائيلية ، و بلا شك فإنّ أول المدافعين باستماتة عن إسرائيل هم رؤساء أمريكا المتعاقبون .

- في الجانب العسكري و الإقتصادي لا تتوانى الولايات المتحدة الأمريكية في الإنفاق بسخاء غير محدود على إسرائيل، و يتنوّع هذا الإنفاق بين مساعدات و منح سنوية ، و أخرى قروض و مبادلات تجارية، وإتفاقيات جمركية و إستثمارات ، كما تغطي هذه المنح و المساعدات المالية ،حاجة الكيان الصهيوني في جميع المجالات العسكرية و الاقتصادية ، في أوقات الحرب و السّلام .

- تهدف الولايات المتحدة الأمريكية من جرّاء فتح خزائنها لإسرائيل لإبقائها قويّة ، و في نفس الوقت تسهر على إبقاء العرب ضعافا أمامها، و هذه الفجوة بين الجانبين هي شغل أمريكا الشاغل منذ أن اشتدّ عود إسرائيل في المنطقة العربيّة.

- كان التّخبط و الإنقسام العربي غداة قيام الكيان الصّهيوني عام 1948 م ، أحد الأسباب الرّئيسة في ضياع فلسطين ، كما أنّ المواقف العربيّة بعد ذلك لم ترقى إلى مستوى المسؤوليّة التاريخيّة للعرب تجاه فلسطين ، و يقع عبء هذه المسؤوليّة على الأنظمة و الحكومات العربيّة المتعاقبة على المنطقة العربيّة لا على الشّعوب العربيّة ، التي لم تدّخر جهدا في الدّود عن قضية الأمّة العربيّة و الإسلاميّة المركزيّة .

- كان الحفاظ على العروش و استمراريّة الحكم و الإبقاء على المصالح ، هدف الحكّام و الملوك العرب الأوّل ، و لم يكن الدّفاع عن فلسطين أولويّتهم ، ذلك ما أماطت عنه الوثائق و الشّهادات التاريخيّة التي وثّقت للصّراع العربي - الإسرائيلي ، طيلة 73 عاما من نكبة فلسطين ، و لم يتوقّف الأمر عند تخاذل العرب و خيانتهم لفلسطين ، بل إنّ الشّعب الفلسطيني نال من القتل و الإضطهاد و التّهجير من أشقاءه العرب ما يندى له جبين الإنسانيّة ، فمجازر سبتمبر الأسود و مخيم تل الزّعتر و معاناة فلسطينيي الكويت محطّات موثّقة عمّا جرى.

- مدّت بعض الأنظمة العربيّة يدها للكيان الصّهيوني تحت طائل الضّعف حينا و الخيانة أحيانا كثيرة ، و كان النّظام المصري أول هذه الأنظمة اعترافا بالكيان الصّهيوني ، و بذلك دقّ أول مسمار في نعش الكرامة العربيّة ، ثمّ هرولت عديد الأنظمة العربيّة نحو بناء جسور التّواصل مع الصّهيانية بعنوان "تطبيع العلاقات".

- بعد أن كانت القضية الفلسطينيّة ذات طابع عربي - صهيوني ، أضحت بعد أقل من 30 عاما ، مواجهة فلسطينيّة - صهيونيّة ، و بعد اعتراف منظمّة التحرير الفلسطينيّة بالكيان الصّهيوني و تخلّيها نهائيا عن دورها التاريخي النضالي أمست المواجهة بين فصائل المقاومة (و جلّها في قطاع غزّة) وإسرائيل.

ملحق



The Palestinians Historic Compromise



ملحق (٤)

العهد العمري

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله: عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبيهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم. ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل (فلان)، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم. ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا ما عليهم من الجزية.

شهد على ذلك

خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف،

ومعاوية بن أبي سفيان.

وكتب وحضر سنة خمس عشرة.



